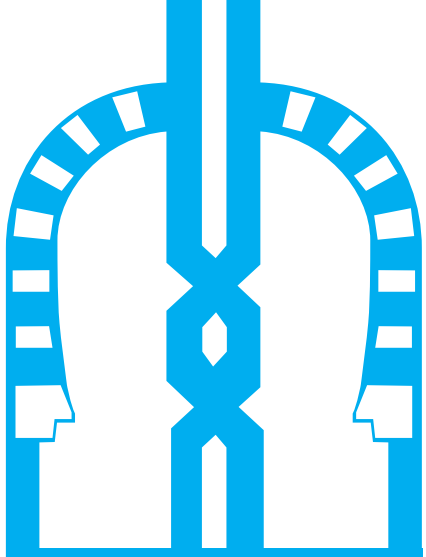

المجلة الصادقية

مجلة ثقافية فصليّة

سلسة جديدة-السنة 23

العــدد 65 ديسمبر 2018

مديــرها :

فـــــؤاد المبزع

رئيسا التحرير :

عبد الوهاب الدخلي

الشاذلي بن يونس

الإخراج الفني :

ألفة بن عزيزة

الرقن:

هشام الطويهري

الطبع : STAG

الهاتف : 316 940 71 (216+)

تأسست سنة 1920

أسرة المجلة

محمّد خير الدّين العنّــابي

عبد الرؤوف الباسطي

علي اللواتي

علي حمريــت

حسن جلاّليّــة

المنصف شرف الدين

محمود الشملي

محمد العزيز الساحلي

عز الدين المدني

علي محسن

رشيدة بويحــي

محمد المنصف المكشر

ســامي بن بــشر

أمين المال

محمد الفاضل الدرويش

جمعية قدماء الصادقية - 13 نهج دار الجلد القصبة تونس

الهاتف: 237 560 71 (216+)البريد الإلكتروني : anciens.sadiki@planet.tn

شكـــــر خـــاصّ

تتقدّم الهيئة المديرة لجمعيّة قدماء الصّادقيّة وأسرة مجلّة الصّادقيّة بالشّكر الجزيل لابن الصّادقيّة البار السيّد محمد بوصبيع للإعانة الماديّة التّي قدّمها للجمعيّة وللمجلّة والتّي مكّنتنا من إصدار هذا العدد الممتاز من المجلّة لسنة 2018 وهو العدد 65 .

هيئة التحرير

محمد بوصبيع

الافتتاحية

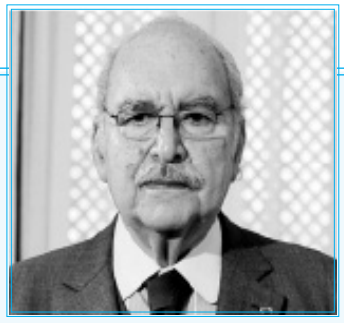

الأستاذ فؤاد المبزّع
رئيس الجمعية

افتتاحية العدد الخامس والستين من المجلة الصادقية

في ظل الحراك السياسي والاجتماعي الراهن:

أي دور للنخبة؟

يصدر هذا العدد الخامس والستون من المجلة الصادقية، في سلسلتها الجديدة، في فترة حساسة من تاريخ تونس المعاصر، فترة تسارعت فيها وتيرة الحراك السياسي والاجتماعي بعد مرور ثماني سنوات من اندلاع ثورة الحرية والكرامة، ثورة 17 ديسمبر- 14 جانفي، وقبل بضعة أشهر من الانتخابات التشريعية والرئاسية لسنة 2019.

ولئن كان مثل هذا الحراك طبيعيا في بلد مازال يخطو خطواته الأولى على درب البناء الديمقراطي وتكريس مبادئ الحرية والمساواة التي تضمّنها الدستور الثاني للجمهورية التونسية بعد الاستقلال، فإنّ مسؤولية تأطير هذا الحراك وتوجيهه التوجيه السليم، تبقى مسؤولية جماعية لا مناص من أن تنخرط فيها النخبة من أبناء هذا الوطن المعطاء، بكل مكوّناتها من سياسيين ومثقفين ورجال فكر.

والمؤكّد أن العديد من خرّيجي المدرسة الصادقية هم من مكوّنات هذه النخبة، وأسهموا، ولا يزالون، في نحت نموذج المجتمع التونسي الجامع بين الأصالة والحداثة، المتجذر في هويته العربية الإسلامية، والمتفتح على الحضارات الإنسانية الأخرى شرقيّها وغربيّها.

إنّ للنخبة التونسية اليوم دورا هامّا ورياديا في تجذير الممارسة الديمقراطية في البلاد وتذليل صعوبات هذا التجذير بالعمل على نشر ثقافة الاختلاف وقبول الآخر والتعايش معه.

والسؤال الذي يُطرح، ونحن نعيش اليوم وضعا أقلّ ما يُقال عنه أنّه يدعو للقلق والانشغال، بالنظر لاحتدام الصراع السياسي وتردّي المناخ الاجتماعي، هو التالي: ما هي مسؤولية النخبة و المثقفين، بمن فيهم الصادقيون، في تأطير هذا الحراك السياسي والاجتماعي وتوجيهه التوجيه السليم حتى يبقى في إطار فكري وفي مستوى عال من الشعور بالمسؤولية ونكران الذات؟

نعم، إنّ الصادقيين بمختلف أجيالهم ومهما كانت مشاربهم السياسية والفكرية ومهما كانت مواقعهم ورُتبهم في المجالات السياسية والفكرية والنقابية والجمعياتية وغيرها، مدعوون جميعا للاستلهام من القيم والمبادئ التي تربوا عليها خلال مرورهم بالمدرسة الصادقية وتتلمذهم على خيرة الأساتذة والمربّين الوطنيين سواء في فترة ما قبل الاستقلال أو ما بعده، ليقفوا، كلّ من موقعه، ضدّ كلّ محاولات التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، ويكونوا سدّا منيعا لحماية هذا الوطن من كلّ محاولات الزيغ بأبنائه عن الطريق السوي: طريق الاعتدال والوسطية، طريق الحرية والكرامة والمساواة.

وفي الختام، ونحن على أبواب سنة إدارية جديدة، نسأل الله أن يحفظ بلادنا من كلّ سوء وأن يوفق الجميع، وخاصة النخبة من السياسيين والمثقفين لما فيه الخير، وما ذلك بعزيز على من آمن بالديمقراطية مبدأ، وبالحوار منهجا، وبانّ مصلحة الوطن العليا تبقى فوق كلّ اعتبار آخر.

والله ولي التوفيق

محتوى المجلة

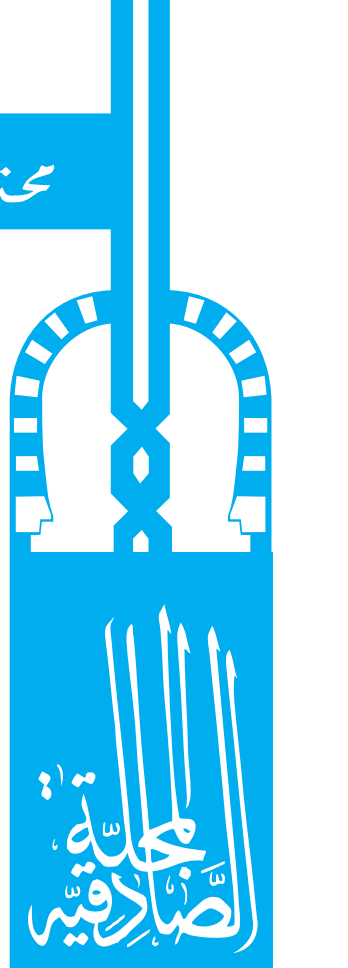

تأسست سنة 1920

الإفتتاحية.....03

من ألبوم الصادقيّة 07

بحوث ودراسات:

صراع الحضارات: مؤتمر كامبل بنرمان/وثيقة لندن (1905/1907).....

(د. علي منجور) 08

الكتابة الخطيّة على أختام ملوك الدولة الحسينيّة .....

(محمد الصادق عبد اللطيف).....18

صفحة من تاريخ تونس: المدرسة الصادقية.....(محمد بن الخوجة) 23

الفتح العثماني في الشمال الإفريقي.....(الشيخ محمد الشاذلي النيفر).....37

من ذكرياتي مع الأستاذ محمود المسعدي.....(حامد المهيري).....43

للوفاء والذكرى: الحبيب بورقيبة يتحدّث عن فترة التحصيل بالمعهد الصادقي.....(الحبيب بورقيبة).....48

صادقيون غادرونا:

المؤسسة التربوية بمديرها وعلى مديرها المدير الراحل المنجي الدامرجي نموذجا.....(المنجي الدريدي).....53

محتوى المجلة

الأستاذ البشير العريبي.....(علي حمريت).....56

تحيّة إلى روح المرحوم عدنان الزمرلي.....(محمد الفاضل الدرويش) 67

تقديم كتب:

المدرسة الفقهيّة المالكيّة بتونس وتطوّرها.....(فتحي المحجوبي).....69

حوارات:

حوار أدبي وفكري مع الاديب رشيد الذوادي..(حاوره العربي الزوابي).....75

نظم لشيخ الإسلام أحمد بن الخوجة يمدح فيها الوزير خير الدين والمدرسة الصادقية 79

المصلح الشيخ محمد الخضر حسين .....محمد العزيز الساحلي.....82

تقديم كتاب « الحبيب جاء وحدوه الشاعر الأديب» ..... الصيدلي عادل بن يوسف... 85

قائمة للمكرمين من قدماء المدرسة الصادقية وأنجب نجبأها..... 94

النشاط الثقافي لجمعية قدماء الصادقية خلال سنة 2018 97

Hommage à Adnan Zmerli 02

Honorables Lauréats de Prix Mandela à Habibe Bourguiba (Abderrazak Essaied) 07

المجلة الصادقية

تأسست سنة 1920

دفعة 1910

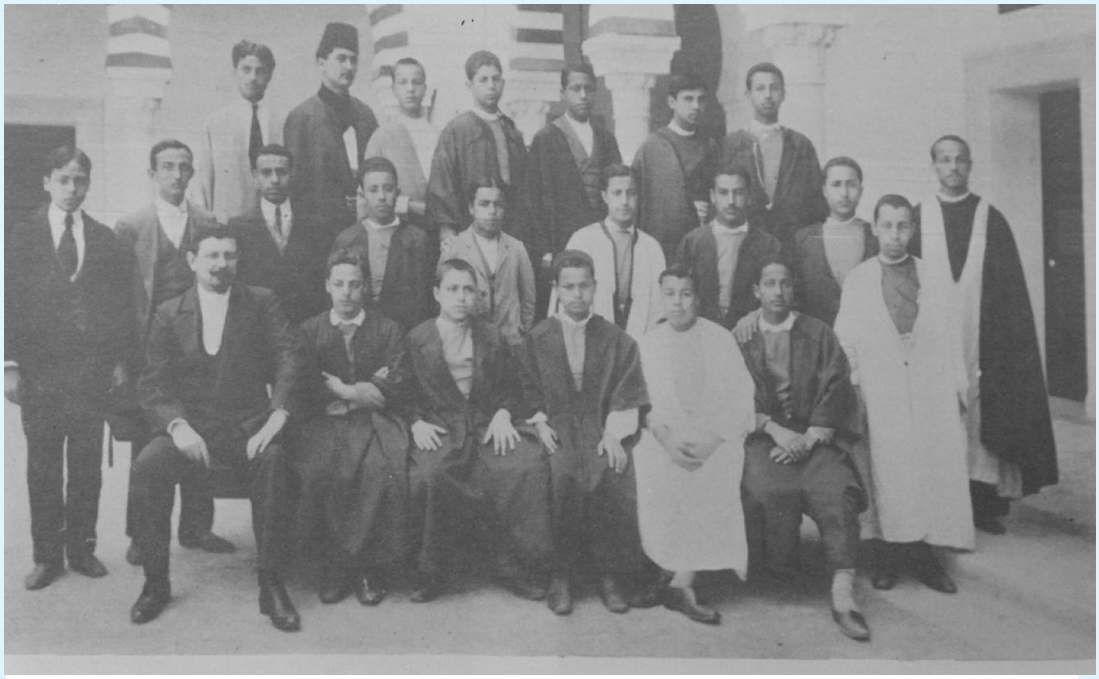

الصف الأول: لسكا (أستاذ) – فخر الدين بن مراد – حسن عبد المولى – بشير قصّاب – محمد نيقرو – علي الحدّاد -

الصف الثاني: - عبد الرحمان جيهان – محمد عبد المولى – محمد حيدر – مصطفى قسنطيني – علالة غديرة – أحمد بحرون – مختار شنّوفي

الصف الثالث: لعروسي التريكي – محمد بكوش – محمد كريفة – الطيب بلعربي – أحمد مرابط – عمر التبان.

مصدر الصورة:

Sadiki et les sadikiens 1875 /1975 par Ahmed Abdessalam Cerès productions 1975

صراع الحضارات

مؤتمر كامبل بنرمان وثيقة لندن (1905-1907) نموذجا(×)

الدكتور علي منجور

هناك جانبان هامان يخصان دراسة التاريخ:

-الجانب الظاهري الذي يهم تاريخ الأحداث.

-الجانب المعتم عنه بصفة عامة، ذلك الذي يستدعي التمحيص والتدقيق في الأسباب والمسببات، وهو تاريخ الأفكار.

في دراسة الصراع العربي- الصهيوني، لابدّ من التأكيد على أنه من غير المعقول الاهتمام بتاريخ الأحداث وإهمال تاريخ الأفكار.

ونحن نعتقد أن الأفكار التي جاء بها مؤتمر كامبل بنرمان، وقد مرت عليه مائة وعشر سنوات، تمثل المنبع الأساسي لكل الأحداث اللاحقة. وهنا لا بدّ من القول إن هذه الأحداث الهامة التي تلته مباشرة كانت كالتالي : الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908، فاتفاقية «سايكس بيكو» (15 ماي 1916)، فوعد بلفور (2 نوفمبر 1917)، فوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتكليف اليهودي الصهيوني هربيرت صمويل (HERBERT SAMUEL) ممثلا للتاج البريطاني في فلسطين سنة 1922. وكان قد شغل خطة وزير الداخلية في حكومة أسكيث ASQUITH سنة 1914. ويذكر حاييم ويزمان (Haim Weizman) في مذكراته أنه عندما اقترب منه ليقنعه بمبادئ الصهيونية وجده متشبعا ومقتنعا بها، إلى حد أن نصل إلى تقسيم فلسطين حسب القرار عدد 181، الصادر عن الجمعية العامة وليس عن مجلس الأمن، في 29 نوفمبر 1947. إن كل هذه المحطات الأليمة والخطيرة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية كانت غايتها واحدة وهي تطبيق ما جاء به مؤتمر كامبل بنرمان من توصيات وتعليمات.

فماهو مؤتمر كامبل بنرمان؟ وما كانت الغاية من انعقاده؟ ومن دعا إليه؟ ومن حضره؟ ولماذا لم تفتح السلطات البريطانية بصفة نهائية الأرشيف الخاصّ به؟

ماهو سبب إصرار الحكومات البريطانية المتتالية على عدم الكشف عن وثائق مؤتمر كامبل للباحثين؟

(×) نص محاضرة الدكتور علي منجور في نادي قدما الصادقية بتاريخ 09/02/2018

رغم مرور مائة وعشر سنوات على صدور «وثيقة كامبل» التي لخّصت ما جاء في المؤتمر، فإنّ السلطات البريطانية مازالت كسابقاتها مصرة على منع كل الباحثين من الوصول إلى وثائق المؤتمر. وهذا كاف للدلالة على خطورة ما انتهى إليه المؤتمرون من إبقاء محاضر الجلسات في كنف السرية.

إن وثيقة كامبل ليست الوحيدة التي لم تفتح للباحثين. فقد أوضح المفكر أرنست باول (ERNEST PAWEL) في كتابه حول السيرة الذاتية لتيودور هارتزل (ص 280) أن أرشيف آل روتشليد لم ولن يفتح للباحثين.

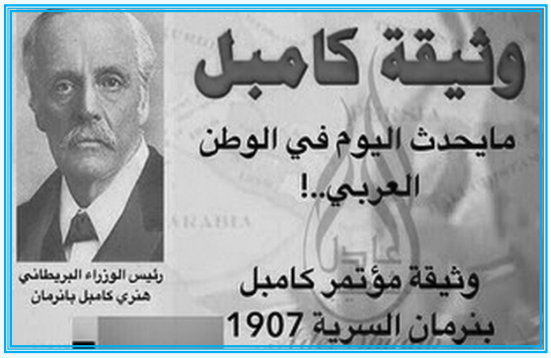

مؤتمر كامبل بنرمان

إن أول من تحدث عن مؤتمر كامبل بنرمان هو الباحث والمحامي اللبناني أنطوان سليم كنعان الذي استند على معلومات إيطالية. فقد أشار إلى هذا المؤتمر في محاضرة ألقاها سنة 1949 تحت عنوان «فلسطين والقانون»، وكان ذلك في جامعة فلورينو ثم في باريس. وقد نشر هذه المحاضرة اتحاد المحامين العرب في منشوراته التي غطت أنشطة مؤتمره الثالث المنعقد في دمشق من 21 إلى 25 سبتمبر(أيلول) 1957، كما نشرته مجلة البحث التاريخي السورية في عددها السابع لسنة 2003. كما تحدث عن المؤتمر المفكر المصري الكبير محمد حسنين هيكل المعروف بدقة مصادره وذلك في كتابه «المفاوضات السرية وإسرائيل في فصل تحت عنوان : «**وصية بنرمان**». كما ذكره أيضا الدكتور جاسم السلطان في كتابه «دراسة فلسفة التاريخ». لكن تبقى أهم وثيقة حول المؤتمر تلك التي بيد وزارة الإرشاد في مصر تحت عنوان : «توصية لندن المسمّاة بمؤتمر كامبل». وآخر من تعرض لهذا المؤتمر سعادة الدكتور بسام عبد القادر النعماني السفير السابق لجمهورية لبنان بتونس في كتابه القيم تحت عنوان : «مائة عام على اتفاقية سايكس بيكو ـ قراءة في الخرائط» (الصفحة 93)، وقد نشره مركز جامعة الدول العربية بتونس في 556 صفحة سنة 2017.

إن الغريب في الأمر هو أنني لما تصفحت ما كتبه أكبر الأخصائيين الأوروبيين في تاريخ الصهيونية والعلاقات الأوروبية – العربية ممثال الأنجليزي ولتر لاكر (WALTER LA-QUER) والفرنسي هنري لورنس (HENRY LAURENS) لم أعثر على أي أثر لهذا المؤتمر ولا تلميحا، رغم أن السلطات البريطانية أفرجت بصفة استثنائية عن الوثائق لمدة أسبوعين.

وهكذا فقد كانت للسلطات البريطانية وللمثقفين الغربيين نية التعتيم على وثائق المؤتمر، وذلك يرجع إلى أسباب خطيرة تكشف عن نواياهم الحقيقية.

كامبل بنرمان والرؤية السياسية:

قبل أن نتعرض للمؤتمر نرى من الهام التعرف على باعثه كامبل بنرمان لاكتشاف البعض من أفكاره السياسية التي ليست، كما يعتقد البعض، سائدة في عصره فحسب بل هي التي بقيت في أذهان العديد من الساسة البريطانيين من بالمرستون (Palmerston) إلى ووني بلير(Tony Blair) مرورا بدزرائيلي (Dis-raeli) وبلفور(Balfour) واللواء جورج (Llyod Georges) وتشرشل (Churchill) وآتلي (At-lee) وغيرهم....بل قل هي نفس الأفكار التي كيفت العقل الغربي عامة والتي انتقدها نقدا لاذعا الفيلسوف المعاصر جون لوي فويلارم (JEAN LOUIS VULLIERME) في كتابه : «مرآة الغرب - النازية والحضارة الغربية»

Miroir de l'ooccident, le Nazisme et la civilisation occidentale) فلنعد إلى كامبل بنرمان : إنه من مواليد سنة 1836 بمدينة غلاسكو Glasgow بسكوتلاندا كمن سبقه على رئاسة الحكومة البريطانية جايمس أرتور بلفور (BALFOUR). عرفت سكوتلاندا بانتماء العديد من مثقفيها إلى الباطـــــنية المسيحية منبع الحـركة الماسونية (Rite écossais) . زاول كامبل تعلمه في مسقط رأسه ثم تحول إلى كامبريدج لمواصلة تعلمه العالي وقد تمّ انتخابه سنة 1868 عضوا بمجلس العموم نائبا عن سترلينغ

بيرغز السكوتلاندية، وكان عندئذ منتميا للحزب الليبرالي. ظل في منصبه لمدة أربعين سنة إلى أن وصل إلى رئاسة الحكومة على رأس هذا الحزب سنة 1905، مزيحا من الحكم حزب المحافظين الذي كان يترأسه جايمس بلفور.

كانت الفكرة السائدة في عصره، أي ما بعد عهد الملكة فيكتوريا، التخوف الكبير من انحلال الإمبراطورية البريطانية كما حدث لسابقاتها من الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ البشري.

زد على هذا أن أطروحات الفيلسوف الألماني أوزوالد سبنغلر(OSWALD SPENGLER) أثرت أيما تأثير على سياسيّي ومفكري عصره في البلدان الغربية. كيف لا، وهو أول من تنبأ بانهيار الحضارة الغربية، ذاهبا إلى الاعتقاد أن التاريخ البشري ليس على شكل خط مستقيم نحو التقدم المتواصل بل هو على شكل دورات متعاقبة من النمو والانحلال، وأن كل حضارة - كما جاء عند ابن خلدون - أشبه بمسيرة الإنسان الذي يولد ثم ينمو ويزدهر ثم يشيخ ويذبل ويموت، معتبرا أعمار الأمم والدول كأعمار البشر. فبعد أن تنعم الأمم بالتمدّن والضروريّات تنغمس في الكماليات من الملذات والشهوات وتميل إلى الانحلال. ويوضح المفكّر الطيب التزيني المختص في تاريخ الفلسفة أن ابن خلدون قد وصل، قبل أي كان، إلى فكرة الدورات الحضارية حينما رآها متجسّمة في ثلاث حلقات وهي النشأة والازدهار والسقوط.

في تلك الفترة التي تلت عهد فيكتوريا كان للبريطانيين تخوفان:

-التخوف الأول واقعي، لأن مصدره الصعود التكنولوجي للألمان والذي ازداد إثر توحيد كافة للولايات الألمانية من طرف بيزمارك (BIS-MARCK)، مما جعل ألمانيا تصبح قوة عظمى. هذا ما أكده انتصارها على جيش نابليون الثالث في معركة سيدان (SEDAN) سنة 1870. ومما زاد في تخوف البريطانيين تحالف ألمانيا مع الإمبراطورية النمساوية-المجرية سنة 1882، فتكونت في وسط أوروبا قوة تكنولوجية واقتصادية وبالتالي عسكرية يقرأ لها ألف حساب. وهذا ما دفع بريطانيا إلى أن تردّ، سنة 1890، على المحور الألماني- النمساوي- المجري بتفاهم ثلاثي مع فرنسا وروسيا، وهو التفاهم الذي سيصبح قبيل الحرب العالمية الأولى حلفا حقيقيا.

-أما التخوف الثاني فهو افتراضي، ويتمثل في احتمال استفاقة تكنولوجية في جنوب وشرق البحرالأبيض المتوسط تجعل تلك البلدان، حسب افتراضات البريطانيين والعالم الغربي، تتحكم في بعض المواقع الاستراتيجية لهذا البحر. إن الاحتمال وارد جدا في نظر البريطانيين، خاصة أن في هذه المنطقة شعبا واحدا تتوفر له وحدة التاريخ واللغة والدين ويمتلك كل مقومات التجمع والترابط، فضلا عن الثروات الطبيعية التي بدأ اكتشافها. هنا يتساءل التقرير عن مصير هذه المنطقة لو انتشر فيها التعليم والثقافة.

أمام كل هذه المخاطر، في نظر المحافظين الذين

يتزعمهم بلفور، طلب هؤلاء من رئيس الحكومة الجديد كامبل بنرمان وحزب الليبراليين عقد مؤتمر دولي يضم البلدان الاستعمارية وتحضره شخصيات تحمل أفكارا استشرافية للإبقاء على هيمنة وسيطرة القوى الإمبريالية، ارتكازا على

كامبل بنرمان والرؤية السياسية:

قبل أن نتعرض للمؤتمر نرى من الهام التعرف على باعثه كامبل بنرمان لاكتشاف البعض من أفكاره السياسية التي ليست، كما يعتقد البعض، سائدة في عصره فحسب بل هي التي بقيت في أذهان العديد من الساسة البريطانيين من بالمرستون (Palmerston) إلى ووني بلير(Tony Blair) مرورا بدزرائيلي (Dis-raeli) وبلفور(Balfour) واللواء جورج (Llyod Georges) وتشرشل (Churchill) وآتلي (At-lee) وغيرهم....بل قل هي نفس الأفكار التي كيفت العقل الغربي عامة والتي انتقدها نقدا لاذعا الفيلسوف المعاصر جون لوي فويلارم (JEAN LOUIS VULLIERME) في كتابه : «مرآة الغرب - النازية والحضارة الغربية»

Miroir de l'ooccident, le Nazisme et) la civilisation occidentale) فلنعد إلى كامبل بنرمان : إنه من مواليد سنة 1836 بمدينة غلاسكو Glasgow بسكوتلاندا كمن سبقه على رئاسة الحكومة البريطانية جايمس أرتور بلفور (BALFOUR). عرفت سكوتلاندا بانتماء العديد من مثقفيها إلى الباطـــــنية المسيحية منبع الحـركة الماسونية (Rite écossais) . زاول كامبل

هنري كامبل بنرمان .. رئيس الوزراء البريطاني

مقررات « مؤتمر لندن 1907 » واللعنة التي أصابت العرب من بعده !!

تعلمه في مسقط رأسه ثم تحول إلى كامبريدج لمواصلة تعلمه العالي وقد تمّ انتخابه سنة 1868 عضوا بمجلس العموم نائبا عن ستراينغ بيرغز السكوتلاندية، وكان عندئذ منتميا للحزب الليبرالي. ظل في منصبه لمدة أربعين سنة إلى أن وصل إلى رئاسة الحكومة على رأس هذا الحزب سنة 1905، مزيحا من الحكم حزب المحافظين الذي كان يترأسه جايمس بلفور.

كانت الفكرة السائدة في عصره، أي ما بعد عهد الملكة فيكتوريا، التخوف الكبير من انحلال الإمبراطورية البريطانية كما حدث لسابقاتها من الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ البشري.

زد على هذا أن أطروحات الفيلسوف الألماني أوزوالد سبنغلر(OSWALD SPENGLER) أثرت أيما تأثير على سياسيّي ومفكري عصره في البلدان الغربية. كيف لا، وهو أول من تنبأ بانهيار الحضارة الغربية، ذاهبا إلى الاعتقاد أن التاريخ البشري ليس على شكل خط مستقيم نحو التقدم المتواصل بل هو على شكل دورات متعاقبة من النمو والانحلال، وأن كل حضارة - كما جاء عند ابن خلدون - أشبه بمسيرة الإنسان الذي يولد ثم ينمو ويزدهر ثم يشيخ ويذبل ويموت، معتبرا أعمار الأمم والدول كأعمار البشر. فبعد أن تنعم الأمم بالتمدّن والضروريّات تنغمس في الكماليات من الملذات والشهوات وتميل إلى الانحلال. ويوضح المفكّر الطيب التزيني المختص في تاريخ الفلسفة أن ابن خلدون قد وصل، قبل أي كان، إلى فكرة الدورات الحضارية حينما رآها متجسّمة في ثلاث حلقات وهي النشأة والازدهار والسقوط.

في تلك الفترة التي تلت عهد فيكتوريا كان للبريطانيين تخوفان:

-التخوف الأول واقعي، لأن مصدره الصعود التكنولوجي للألمان والذي ازداد إثر توحيد اافة الولايات الألمانية من طرف بيزمارك (BIS-MARCK)، مما جعل ألمانيا تصبح قوة عظمى. هذا ما أكده انتصارها على جيش نابليون الثالث في معركة سيدان (SEDAN) سنة 1870. ومما زاد في تخوف البريطانيين تحالف ألمانيا مع الإمبراطورية النمساوية-المجرية سنة 1882، فتكونت في وسط أوروبا قوة تكنولوجية واقتصادية وبالتالي عسكرية يقرأ لها ألف حساب. وهذا ما دفع بريطانيا إلى أن تردّ، سنة 1890، على المحور الألماني- النمساوي- المجري بتفاهم ثلاثي مع فرنسا وروسيا، وهو التفاهم الذي سيصبح قبيل الحرب العالمية الأولى حلفا حقيقيا.

-أما التخوف الثاني فهو افتراضي، ويتمثل في احتمال استفاقة تكنولوجية في جنوب وشرق البحرالأبيض المتوسط تجعل تلك البلدان، حسب افتراضات البريطانيين والعالم الغربي، تتحكم في بعض المواقع الاستراتيجية لهذا البحر. إن الاحتمال وارد جدا في نظر البريطانيين، خاصة أن في هذه المنطقة شعبا واحدا تتوفر له وحدة التاريخ واللغة والدين ويمتلك كل مقومات التجمع والترابط، فضلا عن الثروات الطبيعية التي بدأ اكتشافها. هنا يتساءل التقرير عن مصير

هذه المنطقة لو انتشر فيها التعليم والثقافة.

أمام كل هذه المخاطر، في نظر المحافظين الذين يتزعمهم بلفور، طلب هؤلاء من رئيس الحكومة الجديد كامبل بنرمان وحزب الليبراليين عقد مؤتمر دولي يضم البلدان الاستعمارية وتحضره شخصيات تحمل أفكارا استشرافية للإبقاء على هيمنة وسيطرة القوى الإمبريالية، ارتكازا على المبادئ الاستعمارية الثلاثة التالية:

أولا : مبدأ التفوق:

هو مبدأ عنصري في جوهره، لأن أتباعه يعتقدون أنه مرتبط بنوعية «الجنس البشري». وقد بدأ التنظير له في القرن الثامن عشر من ررف عالم الأحياء الألماني بلومنباخ (BLU-MENBACH) في جامعة غوتنغن (GOT-TINGEN)، وهو الذي يزعم أن الذكاء البشري تراتبي حسب الأجناس. وقد عرفت هذه النظرية أوجها مع «الفيلسوف» والدبلوماسي الفرنسي غوبينو ((Arthur Gobineau 1816-1882)) صاحب كتاب «مقالة في عدم المساواة بين الأجناس» Essai sur l'inéga-lité des races humaines. وقد آمن بنظريته وانخرط فيها العديد من المفكرين من بينهم الفيلسوف والمؤرخ الفـــرنسي المعروف إرنست رينان (ERNEST RENAN) (1823-1892). ويعتقد أتباع هذه النظرية المنتشرون في كافة أنحاء العالم الغربي أن أعلى الترتيب في الذكاء يتصدره الأوربيون الذين لقبوا أنفسهم بـــ«القوقازيين».

وقد فند عالم الأحياء المعاصر أندري جوردان (André Jordan) هذه النظرية السخيفة، واتهم دعاتها بأنهم أسسوا لها لتبرير القمع الإمبريالي للاستحواذ على خيرات عديد البلدان. ومن كبار الفلاسفة الذين اتهموها بكونها مهدت للعنصرية النازية الفيلسوف السالف ككره جان لوي فويلارم (Jean Louis Vuil-lerme) في كتابه : «مرآة الغرب - النازية والحضارة الغربية».

Miroir de l'occident, le nazisme et la civilisation occidentale.

ثانيا: مبدأ المصلحة

وهو مبدأ لا بد أن يكون، في نظر ساسة العالم الغربي، أعلى من كل الثوابت القيمية والأخلاقية. فالمصلحة هي التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في كل المواقف. فما يخدم الاستعمار يجب اعتماده والتمسك به، وما يتناقض مع مصالحهم الاستعماريّة وجب عليهم تركه.

ثالثا: مبدأ السيطرة

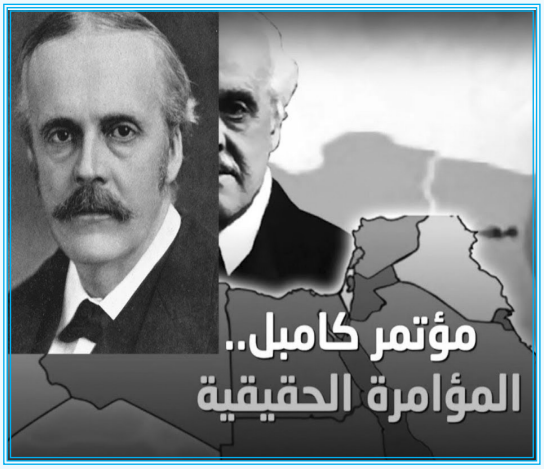

هو مبدأ أساسي لا يمكن التفريط فيه في نظر البريطانيين وبقية البلدان الاستعمارية إذا كانوا يريدون تفادي الانحطاط. ويقصد بهذا المبدأ فرض الإرادة والهيمنة بما يخدم مصلحتهم بغض النظر عن كل القيم الإنسانية. لذا لا بد للبلدان الشرقية التي تنتمي إلى «عرق محكوم» أن تبقى دائما محكومة، وهذا طبقا لرأي قادة البلدان الاستعمارية.

إنهم يقصدون بالتفوق لا العسكري فحسب بل التفوق الأخلاقي والحضاري، وهذا ما جعل من أهداف الاستعمار نسف القيم الأخلاقية والحضارية للبلدان المستعمرة.

و لا يزال هذا المبـــــــدأ قائما ومعمولا به. فعندما يتكلم برنار كوشنير (BERNARD KOUCHNER) أو بيير هنري ليفي (BER-NARD HENRY LEVY) عن حق التدخل فهو وجه من الوجوه المقنعة للسيطرة والهيمنة الحضارية والأخلاقية.

وافق كامبل بنرمان على مقترح المحافظين لعقد هذا المؤتمر، وعلى رأسهم الوزير الأول المهزوم جيمس بلفور (JAMES BALFOUR).

وبعد دراسة الموضوع تمّت دعوة البلدان الاستعمارية التالية إلى المؤتمر : فرنسا وهولندا وبلجيكيا وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال.

دام المؤتمر من سنة 1905 إلى سنة 1907، وإثره تم التوصل إلى صياغة وثيقة سرية عرفت بوثيقة «كامبل بنرمان» أو «وثيقة لندن».

لم يكن المشاركون في المؤتمر من رجال السياسة فقط بل كان من بينهم الفلاسفة ومشاهير المؤرخين خاصة من كانت أطروحاتهم تهم أسباب زوال الإمبراطوريات، كما كان من بين الحاضرين علماء الاستشراق والجغرافيا والاقتصاد إضافة إلى خبراء في شؤون النفط والزراعة والاستعمار أمثال البروفيسور لوي مادلين مؤلف كتاب : نشوء وزوال إمبراطورية نابليون.

هكذا يمكن القول إن المؤتمر كان يرمي إلى إقامة إستراتجية بعيدة المدى للإبقاء على تفوق البلدان الاستعمارية، وهو السبب الأساسي لإبقاء محاضر الجلسات وكل وثائق المؤتمر بعيدة كل البعد عن أنظار الباحثين في خزائن الدولة البريطانية المضيفة في ملفات مختومة بعبارة «سري للغاية».

بدأ المؤتمر أعماله وافتتحه رئيس الوزراء البريطاني بكلمة مطولة من بين ما جاء فيها ما يلي:

إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى وتستقر إلى حد ما ثم تنحل رويدا رويدا ثم تزول. والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات، وهو لا يتغير بالنسبة إلى كلّ نهضة وإلى كلّ أمة. فهناك إمبراطوريات كروما وأثينا والهند والصين وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرهم...هل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي وانهياره أو تأخر مصيره؟ وقد بلغ الآن الذروة وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت مصالحها

بينما لا يزال العالم الآخر في شرخ شبابه يتطلع إلى المزيد من العلم والتنظم والرفاهة ؟ هذه هي مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا.

للوصول إلى ما دعا إليه كامبل بنرمان تمّ تصنيف بلدان العالم إلى ثلاثة أصناف حسب رؤية المؤتمرين.

* **الصنف الأول:** الدول التي تنتمي إلى الحضارة الغربية لكن تعتبر حضارتها من الأصول الإغريقية والمسيحية أمثال أمريكا وأستراليا. والمطلوب دعمها ماديا وتقنيا لترتقي إلى أعلى مستويات التقدم والازدهار.

* **الصنف الثاني:** تمثله بلدان لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية، لكن بالرغم من أنه يوجد تصادم حضاري معها فإنها تعدّ بعيدة كالبلدان الآسيوية، والواجب يقتضي احتواءها.

* **الصنف الثالث:** تمثله دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ويوجد صدام حضاري معها، لذلك يشكل تفوقها العلمي تهديدا مباشرا. وهذه هي البلدان العربية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام.

يتساءل التقرير عن مصير المنطقة إذا ما انتشر التعليم وعمت الثقافة ربوعها. ولو حدث ذلك فسوف تحل الضربة القاضية، في رأي التقرير، بالإمبراطوريات القائمة.

وقد توصّل التقرير، في دراسته لكيفية بقاء هذه الإمبراطوريات، إلى أن البحر الأبيض المتوسط يمثل الشريان الأساسي للاستعمار. وبما أن حدوده الجنوبية والشرقية متكونة من بلدان عربية وإسلامية فلا بد من محاربتها وإضعافها بالوسائل التالية:

أولا: منعها من التكنولوجيا والتقدم

ثانيا: محاربة أي توجه وحدوي فيها، لذلك دعا المؤتمر إلى إقامة دولة في فلسطين تكون بمثابة حاجز بشري (رأس جسر) قوي ومعاد يفصل القسم الإفريقي عن القسم الآسيوي من الوطن العربي.

هكذا يكون المؤتمر قد لبّى مطلب تيودور هارتزل (Theodore Herzl 1860-1904) الذي أخذه عن الحاخام المؤسس الحقيقي للصهيونية هو يهوذا القلعي Yehoudah ALKA-LI (1798-1878) الذي بدوره اتفق فيه مع بالمرستون وزير الخارجية البريطاني آنذاك أي منذ سنة 1830 والذي أصبح فيما بعد الوزير الأول للتاج البريطاني. وأشير هنا إلى أنّ مصطلح الدولة اليهودية خرج لأول مرة من فم آخر مسيح دجال هو الذي زامن الثورة الفرنسية جاكوب فرانك (Jacob Frank 1726-1791). من بعده بدأ الترويج له من طرف بالمرستون (Palmerston) ويهوذا القلعي الذي كان سيمون هارتزل جد تيودور هارتزل أحد مريديه وأشد المتحمسين لأفكاره.

إن ما حفز وشجع أعضاء مؤتمر كامبل بنرمان على المضي قدما لتأسيس دولة يهودية هو ما كان

يعتقده تيودور هارتزل من دور لهذه الدولة التي ستنشأ ونوعيّة علاقتها بالمشرق والعالم الغربي . يقول تيودور بكل وضوح في كتابه «دولة اليهود» : «بالنسبة لأوروبا ستشكّل هناك (أي في فلسطين) جزءا من الجدار المركزي ضد آسيا كما سنكون المركز المتقدم للحضارة ضد الهمجية».

« Pour l'Europe, nous formerions là-bas un élément du mur central contre l'Asie, ainsi que l'avant poste de la civilisation contre la barbarie »

(l'Etat des Juifs, Theodore Herzel. Ed. la découverte p.47).

لقد أكدت وثائق وزارة الإرشاد القومي في مصر حول موضوع علاقة تكوين دولة إسرائيل بمؤتمر كامبل ما جاءت به التوصية التالية. «إن إقامة حاجز بشري قوي على الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطها معا بالبحر الأبيض المتوسط ستشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية ومصالحها، وهو التنفيذ العلمي العاجل للوسائل والسبل المقترحة».

هكذا عبّرن وثيقة كامبل بنرمان بوضوح عن إستراتجية استعماريّة لضمان سيادة الحضارة الغربية بما فيها تفوقها على الحضارة الشرقية كما وصفها أبو الصهيونية تيودور هارتزل وخطط لها من قبله في ثلاثينيات القرن التاسع عشر الحاخام يهوذا القلعي مع وزير خارجية بريطانيا آنذاك بالمرستون.

في هذا الإطار نمت الصهيونية ووصلت إلى ما وصلت إليه برعاية وحماية الإمبرياليات الغربية عندما تأكدت هذه الأخيرة من خلال التزامات مؤسس الصهيونية أنها ستكون إستراتيجيا في خدمة المصالح الغربية.

بعد أن تطرقنا إلى الدور التاريخي لمؤتمر كامبل بنرمان يتضح أنّ هذا المؤتمر كان أول رد إيجابي على المؤتمر الصهيوني الأول.

أما إبقاء الأرشيف البريطاني مغلقا فهو دليل قاطع على أن ما ظهر من الأرشيف هو بمثابة جبل الثلج الذي يمثل الجزء القليل الظاهر من القارة الثلجية التي تغطيها المياه.

إنّ على العرب أن يقرؤوا التاريخ وأن يعتبروا به مثلما أوصاهم أبو علم الاجتماع عبد الرحمان بن خلدون في مقولته الشهيرة : إن التاريخ في ظاهر لا يزيد عن الأخبار وفي باطن نظر وتحقيق.

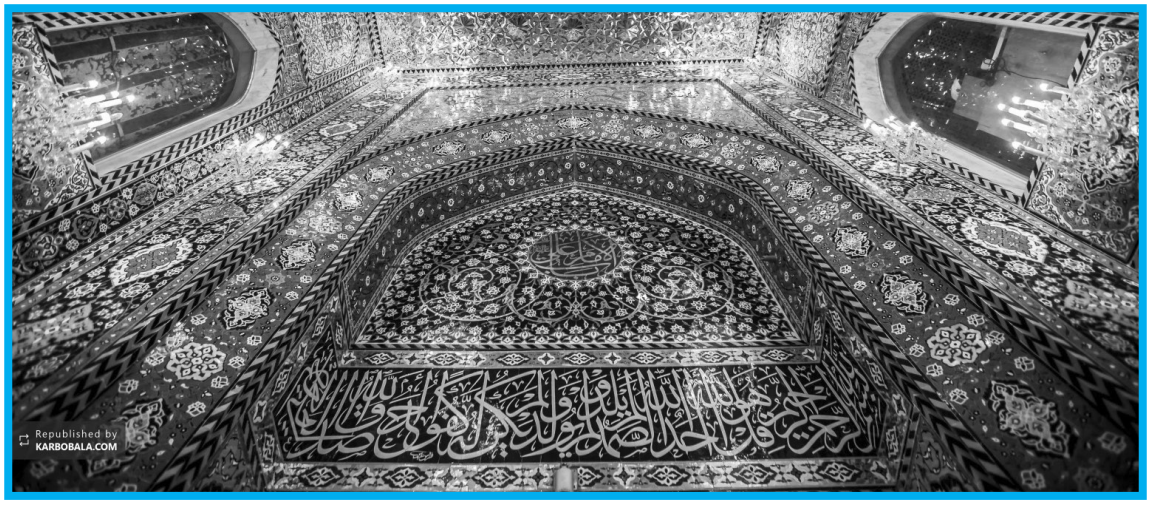

الكتابة الخطيّة على أختام ملوك الدولة الحسينيّة

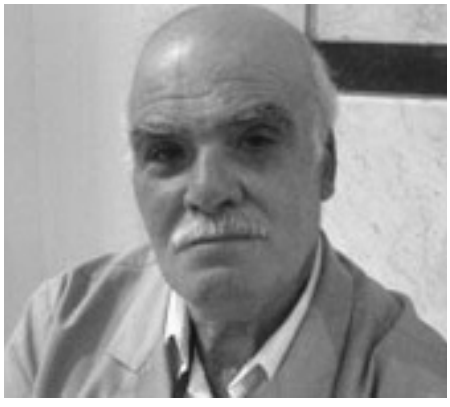

بقلم: محمد الصادق عبد اللطيف

مدخل إطار عام:

الطابع هو الختم الكبير الذي تطبع به القوانين التراتيب الدولية والمخاطبات والتسميات و الأوامر والتعيينات ويكون في عهدة مؤتمن وهو نظام استعمل أيّام الفرس والرومان وأخذه المسلمون لتثبيت نظام الدولة وهذه أمثلة.

1) خاتم الرّسول :

اتّخذه من فضّة ونقش فيه (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر كل كلمة في سطر وقراءته من أسفل إلى أعلى:

-محمد في آخر السطر.

-الرسول في الوسط.

-اسم الجلالة في الأعلى.

وظلّ هذا الخاتم يختم به الخلفاء الراشدون مدة معيّنة وقد اقتدى الخلفاء هذه السنة حيث كان.

1) لأبي بكر خاتم منقوش عليه (نعم القادر اللّه).

2) لعمر خاتم منقوش عليه (كفى بالموت واعظا).

3) خاتم عثمان منقوش عليه (لتصبرنّ أو لتندمنّ).

4) خاتم علي منقوش عليه (الملك للّه).

5) خاتم معاوية نقش فيه (لكل عمل ثواب).

6) خاتم عمر بن عبد العزيز كتب عليه (الوفاء عزيز).

7) هارون الرشيد اتّخذ له خاتمين حيث كتب على أحدهما (لا إلاه إلاّ اللّه) وعلى الثاني (كن من اللّه حذرا)

8) ابنه المأمون كتب على خاتمه (عبد اللّه يؤمن باللّه مخلصا)

9) بعض ملوك الأندلس اتخذ لخاتمه رمزا يفنى في عقبه كعبد الرحمان بن الحكم نقش على خاتمه (عبد الرحمان بقضاء اللّه راض).

2) أهميّة الطابع :

إنّ المؤتمن على الطّابع الملوكي في عهد الخلفاء كان هو الوزير ولأنّ وضعه على الرسائل والمكاتب والأوامر كان من وظائف الوزارة لعهدهم وفي السلطة العثمانيّة. كان الختم من وظائف الوزارة أيضا حيث كان في أمانة (الصدر الأعظم) وحين يأذن السلطان في استرجاعه يعيّن عزله.

في عهد الدولة الحسينيّة أطلق لقب الوزير على (صاحب الطابع) قبل إحداث الوزارات وهذه نماذج من تلك الأختام وما كتبت فيها.

1) حسين بن علي اتّخذ لنفسه طابعا بيضي الشكل نقش حول طوقه الخارجي:ختمت به والله أرجو تفضلا ليسهل حسن الختم في القول والفعل، وحول طوقه الداخلي

قوله (اللّهمّ بجاه حسين بن علي احفظ عبدك)

2) اتّخذ حفيده الباشا علي باي الأوّل طوابع متعددة بين كبيرة وصغيرة أعظمها الطابع البيضي المنقوش عليه بالطوق الخارجي قوله من بردة البوصيري.

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم.

3) طابع حمودة باشا كان طابعه بيضيّا أكبر كتب بالطوق الداخلي بيتا من البردة:

أحلّ أمّته في حرز ملته كالليث حلّ مع الأشبال في أجم، وفي الطوق الخارجي قوله: من تكن برسول الله نصرته إلخ... وقد استمر الطابع الحسيني بهذا الشكل والمحتوى والرمز والدلالات لم يتطوّر ولم يواكب تطور البلاد ونظام حكمها وقد استمرّ الإحساس بالسلطة والألقاب الضخمة إلى آخر ملوك الدولة الحسينيّة سنة 1957.

3) الكتابة الخطيّة:

لم يثبت البحث التاريخي لحد الآن من تولّى كتابة الخط الموجود على الطوابع المتقدمة لا بالتسمية ولا بالإشارة فحرمنا من معلومة بها نؤرّخ للحضارة الخطية في تونس لهذا الحد وقد غاب عن مؤرخ الدولة التونسيّة محمد بن الخوجة الذي عاش قريبا من الملوك واطّلع على اختامهم وقرأ النصوص وجالس أصحاب (دار السكة) أن يعرّج لو في عجالة على هذا الخطاط وذاك النقّاش، خدمة للحقيقة وللتاريخ لا غير. والمدقق في الكتابة على هذه الأختام وحسبما هو معمول به في ذلك العصر يلحظ ما يلي:

يكون النقش بحروف بارزة لاسم (الباي) وبحروف محفرة بالنسبة للأبيات (عند الختم) يظهر الاسم بالمداد الأسود وأبيات البردة بحروف بيضاء في محيط أسود. مثلا:

4)الخطوط المستعملة:

1) طابع الصادق باي نقش كله بالتحفير ويعني أنّ اسمه كان بأحرف بيض (كانوا يضعون للباي بدار السكة طابعا من شمع الشهد للختم به وبعدها يتمّ صنع الطابع من معدن الذهب).

2) للباي طابع اسمه (الشون) مربع الشكل بالمداد الأسود من معدن الذهب يستعمل بختم المحابيس والصكوك والمحاسبات والأمثلة الهندسيّة.

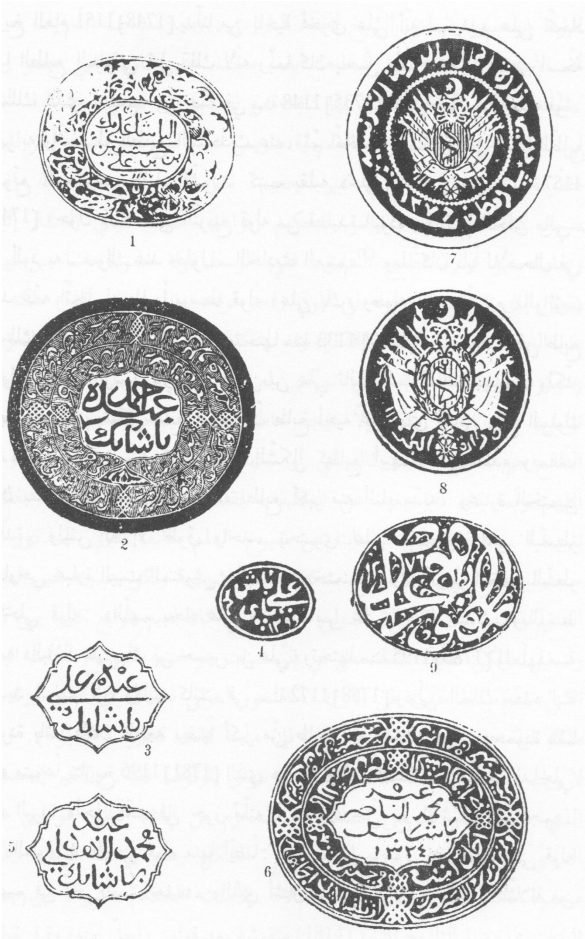

نمـــاذج من الــطوابع الملــوكيـــة

في النماذج المعروضة في كتابة هذه الأختام نجد خطّا واحدا استعمله الخطاط التونسي والنقّاش التونسي هو ذلك الخط المغربي البدائي المتحول من الكوفي القروي الذي ليس فيه قاعدة خطيّة دقيقة. يكفي أيّ كاتب أن يخطّ بقلم ما يريد بدون تقنين ولا معرفة نفر الخط و مجالاته ويأتي النقّاش فيحول تلك الحروف أو الأمثلة الكتابيّة إلى دلالات رسميّة تختم بها القرارات من لدن الملك أو السلطان أو الباشا،كأن الخطاط لا يتقن إلاّ هذا النوع من الخط البدائي ومع الأسف حرمنا أيضا من معرفة تطور الخط على الخواتم التونسيّة.

إنّ فساد الكتابة الخطيّة في الفترة الحسينيّة يعود أساسا إلى تجاهل الساحة

السياسيّة والثقافيّة بأهل الاختصاص (رجال الخط والفن والذوق) واعتمادهم على جمهرة من العمّال اختصاصهم (النقل والنسخ لا غير) وغالبا ما يكون هؤلاء من سلك العمّال والموظفين من فئة اليهود الذين كانوا يسيطرون على أحد أجهزة الدولة (دار السكة) الراجعة بالنظر للسلطة وهم مكلفون هناك بكل ما يتعلّق بشؤون الدولة (الماليّة، طبع الأوراق، صياغة الأختام الخ).

فجاء الخط رديئا خاليا من أيّ تفنن أو جمال أو ذوق (وهي ثقافة ذلك العصر وسمة رجاله حيث لم تتنوع فيه مجالاته الخطيّة من ثلث ونسخ خاصة في حين وجدنا خطّا جميلا وفنيّا وعلى درجة عالية من الكمال والدقة والصناعة في نفس الفترة المراديّة والحسينيّة.

في قرية يوسف داي وفي قرية حمودة باشا وفي الأضرحة والثنايا وشواهد القبور خطوط تحكي بقوتها الخطية (خط ثلث) قوة الخط وجمال وضعه على اللوحة وصياغته و التفنن فيه فعرفنا عندها أنّ الخطّاط التونسي عهدئذ يعرف الخط المغربي ويعرف خط الثلث ولكن هذا الأخير لم يكتب به على اختام الملوك الحسينيين. مع الأسف.

ولعل في تتبع هذه الزاوية في تاريخنا الثقافي ما يكشف لنا وللأجيال وللمهتمين ما يفيد تجذّر المدرسة التونسيّة في الخط. (في آخر عهد الدولة الحسينيّة كانت هناك خطة لمسؤول في القصر مكلف بحمل الطابع (يعرف بالوزن صاحب الطابع) غالبا ما يكون صهر الباي وفي الجزائر لليوم فالمكلف بطبع الأوامر والقرارات الحكوميّة هو وزير العدل حامل الأختام.

صفحة من تاريخ تونس «المدرسة الصادقيّة»

بقلم: الباحث و المؤرّخ امحمد ابن الخوجة

ما هي الظروف التي سمحت بإحداث المدرسة الصادقيّة

اعلم أنّ الوزير خير الدين لمّا تسلّم مقاليد الإدارة التونسية في سنة 1290هـ/ 1873م كانت أحوال هذه البلاد في ارتباك وظهرها مثقل بالديون وموارد الثروة العامة بيد العناصر الأجنبيّة والقول قولهم فيها بلا يمين وكان لتيار التمدن الأوروبي يد عاملة في تلك الحال التعيسة لأنّ تونس لم تكن حينذاك متهيئة لمجاراة الأمم الأوروبيّة ولكنّها رمت بنفسها في أحضانها فجرها سيلها العرم وجعلها على شفا جرف هار . وكان الوزير خير الدين أوّل تونسي فهم الدواء الصالح لمعالجة الداء الدفين الذي تأصّل من جسم البلاد التونسيّة حيث تحقق بعد اختبار ودرس طويل أثناء رحلته الكبرى بأغلب عواصم أوروبا سنة 1278هـ/1861م أنّ سبب تأخّر المسلمين في القرون الحديثة هو جهلهم بالعلوم الكونيّة التي أشرقت أنوارها على أنحاء أوروبا بفضل أسلافهم الذين ضربوا فيها بسهم مصيب لأنّ مباحث الأديان وحدها أصبحت غير كافية لمجاراة الامم التي بلغت أوج الحضارة بفضل الاكتشافات العلميّة والمستجدات العصريّة ولا سبيل لتدارك ما فات إلاّ بالنهوض بالأمّة التونسيّة من مدارك الحضيض إلى مستوى السؤدد والمجد بنشر العلوم في ربوعها سواء كانت قديمة أو عصريّة. والعلم حق مشاع يستوي فيه المسلم وغير المسلم. ونحن مأمورون بطلبه ولو بالصين.

وكان للوزير خير الدين في منهجه قدوة من صنيع جميل الذكر محمد علي باشا والي مصر الذي عزز جانب العلوم العربية في الازهر الشريف بإدخال تعليم الفنون الأوروبية لبلاده وبإرسال البعثات

(*) نشرة هذه المقالة في مجلة شمس الإسلام جزء (2) المجلعد الأول سنة 1356 هـ /1937 ثم أعيد نشرها في صفحات من تاريخ تونس جمع و تحقيق حمادي الساحلي و الجيلاني ابن الحاج يحيى ط: دار الغرب الإسلامي 1986 ص 309

لمدارس أوروبا وبترجمة كثير من الكتب في التاريخ والجغرافية والطب والحكمة والطبيعة والكيمياء وغير ذلك مما لم يكن له رواج ببلاده.

واتّفق أنّ الدولة التونسيّة انجرّ لها في تلك الأثناء أملاك معتبرة من ريع وعقار شملتها عقدة الصلح مع وزيرها السابق أبي النخبة مصطفى خزندار فدبر خير الدين على المشير محمد الصادق باي أن يغتنم تلك الفرصة الثمينة للقيام بصنيع نافع للبلاد يخلد له الذكر الجميل على ممر الآماد ألا وهو إحداث مدرسة لتعليم العلوم العربية وبعض اللغات الأوروبيّة مع ما يتبعها من العلوم العصريّة. كما أشار عليه في الوقت نفسه بتهذيب أساليب التعليم بجامع الزيتونة على معنى وضع برنامج مستكمل لتدريس علوم الدين وعلوم العربية، مع تأسيس مكتبة عموميّة للمطالعة بالجامع.

ولقد وجد الوزير خير الدين أذنا واعية من لدن سمو الباي غير أنّ مساعيه بخصوص إحداث مدرسة للعلوم العصريّة صادمتها دسائس أضداده الذين كانوا يعملون في خفاء لإحباط سعيه إذ أوعزوا للباي بأنّ مشروع هذه المدرسة سينتج له بعد حين خصوما وأعداء في شخص أبناء البلاد الذين سينشأون على مذهب الثقافة الأوروبية ، وأشاعوا هنا وهناك أخبارا زائفة لتثبيط العزائم ولتكوين فكرة عدوانية في الأوساط الأهليّة للقضاء على هذا المشروع وهو مازال ببطن أمّه.

ولكن الوزير خير الدين عرف من أين تؤكل الكتف إذ استشار قبل المجاهرة بفكرته طائفة من أهل العلم، منهم الشيخ أحمد بن الخوجة والشيخ الطاهر النيفر والشيخ عمر بن الشيخ والشيخ محمد بيرم رئيس الأوقاف، وتحقق منهم الموافقة بل الرغبة في إحداث المدرسة المشار إليها لما فيها من المنفعة للأمّة التونسيّة.

وكان في الإعلان استحسان النظر الشرعي لذلك تطمين للخواطر ومحق لأقاويل الكاذبين، فعقد سمو الباي العزيمة على وضع برنامج للتعليم بجامع الزيتونة، وعلى إحداث المكتبة الصادقيّة ووقف عليها كتب الوزير مصطفى خزندار مع ما ألحق من الكتب المتجمعة من المساجد والمدارس وغيرها وابتدأ بتأسيس المدرسة الصادقيّة لتعليم العلوم العصريّة.

تلك هي الخطوة الأولى في سبيل هذه النهضة المباركة. ثمّ إنّ الباي نظر بمشاركة وزرائه في المحل الصالح بنصب هذه المدرسة واستقرّ الرأي على أن يكون ذلك بقشلة الزنايدية[1] وهي

(1) [هي ثكنة قديمة بناها حمودة باشا في أوائل القرن التاسع عشر، وهي مازالت قائمة الذّات إلى يومنا هذا بنهج جامع الزيتونة عدد 55]

من محدثات المرحوم حمودة باشا الحسيني أسّسها لعساكر الانكشاريّة في سنة 1224هـ/ 1809م ومازالت أسماء كبرائهم منقوشة بواجهة بيوتها إلى هذا اليوم. وفي آن واحد أمر بتشكيل لجنة عليا للنظر في إبراز مشروع المدرسة من حيز الفكر إلى قوة العمل[2].

وتركبت هذه اللجنة من رئيسها الوزير الأكبر خير الدين، وأعضائها: الشيخ أحمد بن الخوجة المفتي الحنفي والشيخ الطاهر النيفر القاضي المالكي والشيخ عمر بن الشيخ قاضي باردو وأمير الأمراء الشيخ محمد العزيز بوعتور باش كاتب وزير القلم والاستشارة والمدرّس الشيخ محمد بيرم رئيس جمعيّة الأوقاف وأمير اللواء السيّد محمد العربي زروق رئيس المجلس البلدي والمدرس الشيخ مصطفى رضوان والمدرس الشيخ أحمد الورتتاني فنظرت هذه اللجنة في المشروع وسنّت له قانونا جامعا وتمّ إحداث المدرسة بصدور أمر عليّ في ذلك (5 حجة 1291هـ/13 يناير 1875م)[3].

ومما تضمنه برنامج التعليم بالمدرسة : ففي العربية حفظ القرآن الكريم والقراءات والحديث وعلوم الدين من عقائد وفقه بالمذهبين. ومن علوم العربية النحو والصرف والمعاني والبديع والأدب والتاريخ الإسلامي والأخلاق. وناط ذلك بعهدة مدرسين من أعلام جامع الزيتونة منهم الشيخ الأمين بن الخوجة والشيخ محمود بيرم والشيخ الصادق الشاهد والشيخ عثمان الشامخ والشيخ محمد القرطبي والشيخ الطاهر جعفر والشيخ علي بن الحاج رحم الله الجميع وألحق بذلك تعليم الخط بالقلم العربي وكان أستاذنا الشيخ محمد الكتاني، والخط الثلث وكان أستاذه الشيخ محمد الفخري وفي اللغات الأوروبية اقتضى البرنامج المذكور تعليم اللسان التركي واللسان الفرنسي واللسان الطلياني وغيرها إن اقتضى الحال.وعهد بتعليم العلوم العصريّة كالتاريخ العام والجغرافية، ومن الرياضيات الحساب والجبر والمقابلة والهندسة وجر الأثقال، والطبيعة والكيمياء والهيئة وعلوم الصحة والنبات والفلاحة والحيوان والقوانين والأنظمة السياسيّة، إلى أساتذة فرنسيين منهم من سبقت له مباشرة التعليم بمدرسة الضباط بباردو كالأستاذ أيمون والأستاذ سوليه. وأمّا تعليم اللغة التركيّة فقد استحضر له من الأستانة علي رضا أفندي من كبار أساتذة المدارس الملكيّة.

ونيطت نظارة التعليم الأوروبي بالعالم نونس روكا(NONCE ROCCA)، وهو من خيرة

(2) [بدأت اللجنة اشغالها في أوّل يونيو 1874].

(3) [فتحت المدرسة الصادقيّة أبوابها في وجه الدّارسين خلال شهر فبراير 1875
(انظر : أحمد عبد السّلام : الصادقيّة والصّادقيّون (بالفرنسيّة) 1975).

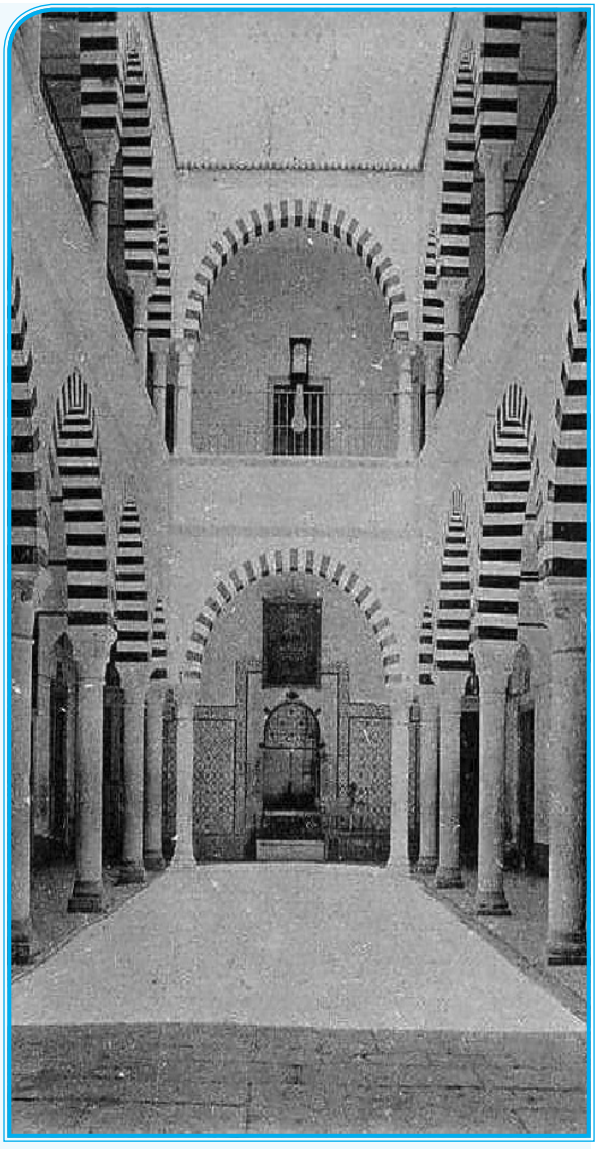

صــورة المقر الأول للمــدرسة الصــادقية

الفرنسيين نزلاء تونس في الدور القديم، وأسندت إدارة المدرسة بلياقة الفذ الغيور الشريف أمير اللواء محمد العربي زروق رئيس المجلس البلدي بتونس، يعضده كاهيتان أول وثان وهما الأمير آلاي اسكندر من مماليك المشير أحمد باي، والآلاي أميني عمر بن بركات معين الوزير خير الدين وكان يحسن اللسان الفرنسي والعلوم الرياضية، زاولها بمدرسة باردو المتقدم ذكرها. وجعلت جراية المدير6000 ريال في العام وللكاهية الأوّل 4200 ريال في العام وللكاهية الثاني 2400 ريال في العام ولكل من المشائخ المدرسين 3000 ريال في العام والمعلمون تختلف مرتباتهم من المائتين إلى الخمسمائة في الشهر وللناظر الفرنسي 6000 ريال في العام.

ووقف الوزير موقف الحزم والعزم في سبيل مشروعه ورأى من الإنصاف تعميم النفع به لكافة العناصر التونسيّة فجعل عدد التلاميذ مائة وخمسين. منهم ثلثان من أبناء الحاضرة، وثلث من أبناء الآفاق التونسيّة، وهذا الثلث جعل نفقته من كساء ومؤونة وإقامة على صندوق المدرسة، والتعليم مجانا للجميع. واشترط لهم لبوسا خاصة بشكل ظريف خلاصتها قفطان عربي شبيه بلبس المشارقة بحاشية طوقه عدد التلميذ مرسوم حوله سنبلة وغصن زيتون بسلوك الذهب، ولم يزل هذا الوزير مجدّا في سيره عاملا لتكليل مشروعه بالنجاح رغم اضداده

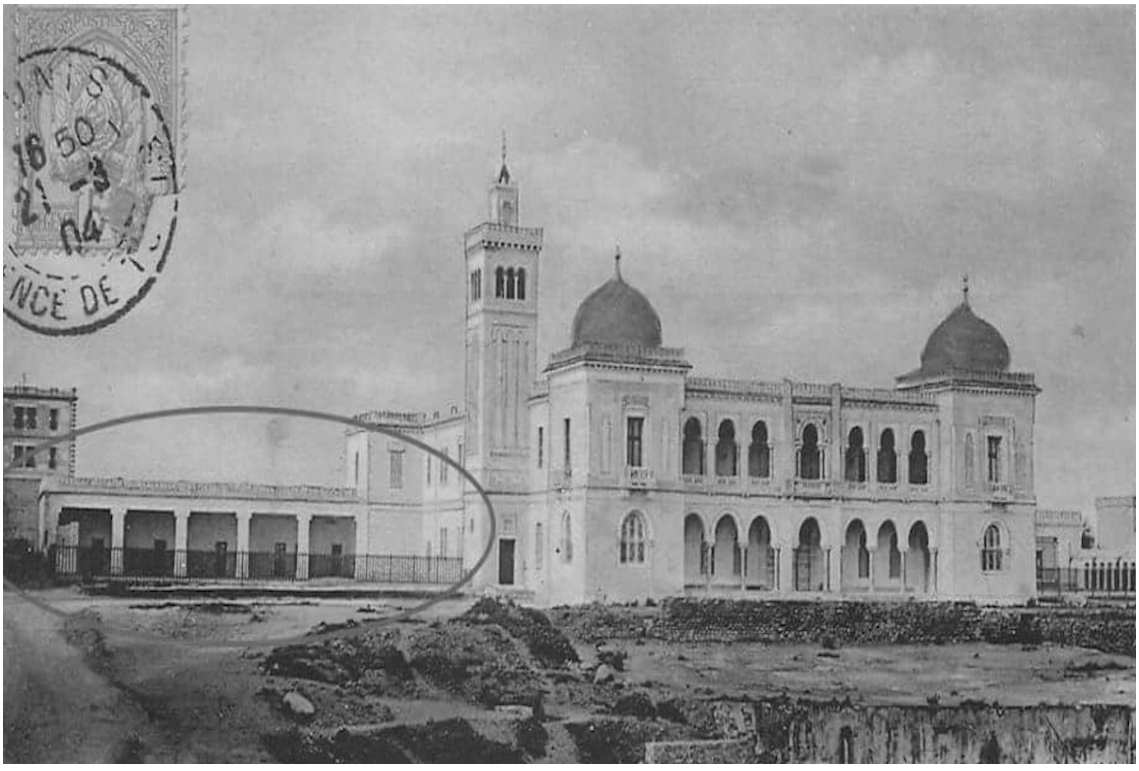

صــورة للمقر الثاني للمدرسة الصادقية

الذين لم ينفكوا عن مناوأته وإنكاده بإشاعة الأخبار الكاذبة بعد فتح المدرسة للتعليم ونعت تلاميذها بالصفقة الخاسرة ورميهم بالزندقة والمروق، لتثبيط عزائم آبائهم، من ذلك قصيدة لم ندر لمن بقي بمحفوظي مطلعها وهو قوله

أيّها القوم الذي في المدرسة * كل ما علمتموه وسوسه**

وهي طويلة شملت كثيرا من ألفاظ الهجو والتشهير مما جاء على قياس منجسه ومنحسه ومبخسه ومنكسه ومكنسه وشبه ذلك. ولكن هذه المساعي السخيفة لم تزد خير الدين إلاّ نشاطا وثبوتا في المركز فكان لا يتخلف أسبوعا عن تفقد المدرسة، حيث يقضي الساعات الطوال بين حلقات الدروس وأقسام التعليم، وقد اتفق له الحضور مرة بدروس الجغرافية وكان بصحبته أحد الوزراء المماليك، فألقى المعلم على التلميذ البشير صفر سؤالا عن إحدى بلاد البلقان، وعندها طلب خير الدين من الوزير المملوك الجواب عن السؤال، فعجز عن ذلك وقام مقامه في الجواب عنه بأحسن بيان التلميذ المشار إليه. فقال الوزير

خير الدين مخاطبا صاحبه :

- من أجل هذا اقتضى نظر سيّدنا الباي إحداث هذه المدرسة ليكون وزراء تونس في مستقبل الأيّام علماء بمواقع البلدان. ولا تسأل عن مظاهر العناية ووسائل التنشيط التي كان يجريها خير الدين نحو تلاميذ الصادقيّة فقد كان يفيض عليهم الإحسان ويعقد الاحتفالات الجامعة لختم الامتحان بسراية المملكة في مجلس يشرفه الباي بحضوره ويحسن سموّه بجوائز فاخرة للتلاميذ الذين امتازوا بالنبوغ في العلوم العربيّة والفنون العصريّة بين الأقران ويتلقى التهاني من أهل المجلس الشرعي وقناصل الدول والأعيان المستدعين لحضور الحفلة بنجاح المدرسة التي زينت وجه البلاد في مدته.

وبفضل هذا التّنشيط تكوّنت بالصّادقيّة طبقة من التّلاميذ النّجباء أهّلتهم مواهبهم ومعارفهم لاستكمال نصاب تحصيلهم في العربيّة بجامع الزيتونة بدرس الأشموني على الأستاذ الأكبر الشيخ سالم بوحاجب، وفي العلوم العصريّة بمدارس باريس.

وممّن نظم في تحبيذ مشروع المدرسة الصّادقيّة عند تأسيسها أديب الادباء التّونسيين الشيخ الباجي المسعودي، أنشأ في ذلك قصيدة هي من عيون ما رصّع به ديوانه مطلعها[4]

الصـــادِقية حسنها بهـر الوَرى فَأجِـل لحاظكَ مُعجبـــا وَمُفكِّرا

ومنها في فضل العلم:

يدعـو إِلَى مـا لا حَيـاةَ بِدونـــه فـــالعِلـمُ داعيَةُ البَقـاء لِمَن دَرى
هَل يَستَوي الذي يَعلَمونَ وَغَيرُهُم شَتّـــانَ مـا بَينَ الثَرَيّـا وَالثَـــرى
هُبّوا بَني الـخَضـراء وانتَبِهـو لـه فـالعلم في الـدارَين أَربَحُ مَتجَـرا
وَخُـذوا المَعارِفَ وَالفـنون بِقوَةٍ تنسيكُـم بُقـــراط وَالإِســـكنَدَرا
وَتَســـابَقوا لِفَضيلَـةٍ جاءَتكُـمُ حـاشـاكُـمُ أَن تَنبُذوهـا بـالعـرا
أَغنَت عَلى خَوض البِحـار وَغُربَة وَمَشَقَّـة تَـــذَرُ الفَتـــى مُتَحَيِّراً

وممّن نسج على ذلك المنوال، وأتى فيه بأبدع مقال، الأديب الكاتب الشيخ محمد التّطاوني،

(4) ديوان الباجي المسعودي – تحقيق عبد الفتاح الزيتوني – الدار التونسيّة للنشر – 1983 - ص 76

فقد وقفت له على قصيدة في ذلك يقول في مطلعها:

كفيت اعتراض البيد أو لجج اليمّ ... بتسهيل طرق العلم يا طالب العلم

ومنها في التخلّص للمدرسة الصّادقيّة :

فأحيا لنا رسم المعارف بعدما ... تقضّت دهور وهي عافية الرّسم
مكاتب تعليم أجدّ بناءها ... وصان مبانيها بوقف عن الهدم
تغنّى بها شادي العلا مترنّما ... ألا هكذا نبني المدارس للعلم
وضمّ بها من شام منه نجابة ... ستعرب عن فتح لدى عامل الضّمّ
وما أنس يوم الامتحان وقد بدا ... يقينا لذي الإنصاف ما كان في الوهم
تناسقهم في ضبط ما أخذوا به ... من العلم والتأليف مع سرعة الفهم
ولمّا دروا والله كافل حفظهم ... بأنّ شياطين العيون لهم تصمي
تلا أوّلاً منهم أخير كأنّهم ... كواكب تقفو إثر بعضها للرّجم

ومّما رأيته في هذا المقام قصيدة أخرى للمفتي الشيخ محمد البارودي[5] تضمّنت الإشارة من طرف خفيّ للمساعي العقيمة التي تناولت مشروع الصّادقيّة في مباديه مطلعها:

بشرى فصادقنا المليك الأمجد ... بثّ العلوم ففخره متجدّد

ومنها:

أو ما رأيتم من ثمار النّصح ما ... أبداه مكتبه الأعزّ المنجد
لا توجلوا من بعض ما لم تعهدوا ... إنّ الدّواء يمجّ وهو الجيّد

إلى أن يقول:

طيبوا به نفسا عسى أن تكرهوا ... شيئا وذاك لكلّ خير موجد
وتمسّكوا بعرى نصيحته لكم ... فهو الشّفيق عليكم المتودّد
طوبى لمن قبل النّصيحة واقتفى ... وبها مؤدّب نفسه ومعوّد
سيذوق في الزّمن القريب لذائذا ... فيها النّعيم الأعجب المتعدّد

(5) الشيخ محمد البارودي عالم حنفي من علماء جامع الزيتونة والإمام الأوّل بجامع باردو، توفّي في سنة 1887.

وبها حياة الرّوح والفـوز الذي جعـل الظّنون بأنّ ذاك الموعـد

وممّا شمله ديوان العلامة الشيخ أحمد كريّم[6]، قصيدة له في تحبيذ هذه النّهضة العلميّة التي شملت في آن واحد جامع الزيتونة والمدرسة الصّادقيّة ومطلعها:

الصّبح أصـدق شيء حين يبتسـم والصّـدق أنجـح ما تأتي به الكـلم

إلى أن قال:

والصّـادقيّة أبـدت من غراستـهـا نتائجـا شاهدتها العـرب والعجـم

وكان في مقدّمة أنصار تلك النهضة، زعيم أهل العلم لعهده، الشيخ أحمد بن الخوجة[7]، فقد نظم في ذلك قصيدة استغرقت أربعين بيتا مطلعها:

مآثـرك الغرّاء كالأنجـم الزُّهْـرِ تجلّت بهـا الخضـراء عقدا على نحـر

إلى أن قال:

ولله مبنى الصـادقيّة مذ بـدت مطالع شهب العلم وقّـادة الفكـر
ففي كلّ فنّ حلقة حـول جهبذ كما دارت الزُّهر النّجوم على البـدر
تلامـذ سرّ الله جـلّ جلالـه لهم في نجاح السّعي في الزّمن النّـزر
يساير في الأسفار ذكر نجاحهم وصدّقت الأخبار مشهـدة الخبـر

ولقد برهن أعيان البلاد من آباء تلامذة الصادقيّة وغيرهم عن اعترافهم بالجميل، وامتنانهم لسمّو الباي ولوزيره خير الدين من أجل هذه المنقبة الجليلة، فأقاموا المبايت[8] الحافلة بآيات الذّكر الحكيم والأناشيد، حمدًا لله وشكرا على نجاح مشروع الصّادقيّة. ومنهم من آثرها بالتّحبيس كالمنعّم الشيخ محمد عريف ناظر أوقاف الحرمين الشّريفين، إذ وقف على تلامذة المدرسة خمسة مواضع زيتونًا بغابة تونس تشتمل على أصول (450) واستمرّت الصّادقيّة متدرّجة في مراقي التقدّم إلى أن انقضت مدة الوزير خير الدين، وكانت ويا للأسف قصيرة، لأنّه استقال من الوزارة الكبرى خلال سنة 1294هـ[1877م] وتلاشت بعده الأحوال، وتناولها الاختلال، لا سيما أثناء وزارة مصطفى بن إسماعيل، ومن تصرفاته

(6) الشيخ أحمد كريّم عالم من علماء الزيتونة، تقلّد مشيخة الإسلام خلفا عن الشيخ أحمد ابن الخوجة بعد وفاته، ولم يمض عام واحد على ولايته حتّى أدركته المنيّة في السّادس من شهر يونيو سنة 1897.

(7) الشيخ أحمد بن الخوجة عالم زيتوني معروف بأفكاره الإصلاحيّة، تولّى خطّة مشيخة الإسلام من سنة 1877 إلى وفاته سنة 1896.

(8) مُبايِتْ: جمع مُبِيته، أي حفلة دينية ليلية في الاستعمال التونسي

الممقوتة مدّ يده لأرزاق المدرسة الصّادقيّة،كاستحواذه على بعض أوقافها بطريق المعاوضة المغبونة، من ذلك هنشير قعفور، وهنشير قرنبالية، وهما أعظم مستملكات الصّادقيّة، وأعقب ذلك إعفاء مديرها السيد العربي زروق لأسباب سياسيّة[9]، فخرج مهاجرا ومات بالمدينة المنورة سنة 1320هـ/1902م(10)(*).

الدور الثاني للمدرسة الصّادقيّة

ثمّ دار الفلك دورته المعروفة فبسطت فرنسا جناح نفوذها على تونس، وكان في باكورة الإصلاحات التي رسمها الوزير المقيم مسيو كمبون[1][11](CAMBON) في برنامج الحماية إحداث إدارة للعلوم والمعارف تولاّها المستعرب الكبير مسيو لويز ماشويل [MA-CHUEL] مدرّس العربيّة بوهران في 28 جمادى الآخرة سنة 1300هـ[1882م] وهنا بداية الدّور الثاني من تاريخ حياة المدرسة الصّادقيّة.

كانت بداية هذا الدّور الجديد شاملة لتغيير قانون المدرسة الأساسي ولتشكيل إدارتها بوجه جديد، وفي آن واحد وضعوا لها تراتيب ماليّة لضبط أرزاقها وحفظها من التّلاشي، كما وضعوا لها برنامجا جديدا ضابطا لأساليب التّعليم بالفرنسيّة، وفي الوقت نفسه ألغي تعليم اللغتين الطّليانيّة والتّركيّة، وجيء بالتّلاميذ الذين سبق إرسالهم للأستانة لاستكمال نصابهم في اللغة التّركيّة، وأبطل توجيه البعثات المركّبة من تلامذة الأقسام الانتهائيّة لإتمام تعلّمهم بباريس، وهذه البعثات كان إحداثها – كما قدّمنا – اقتداءً بصنيع محمد علي باشا والي مصر، فإنّه هو أوّل من انتبه لتكوين طبقة من الشبّان المصريّين علماء في الفنون الأوروبيّة،وممّن اشتهر من رجال تلك الطّبقة المرحوم الشيخ رفاعة الطهطاوي، كاشتهار السيد البشير صفر بين رجال البعثة التونسيّة التي أوفدتها المدرسة الصّادقيّة لإتمام نصاب تحصيلهم بباريس، وبقيّة أقرانه هم السّادة: يونس حجّوج، وأبو بكر زرّوق، والمرحومون محمد الجنادي، والعربي بن عمر، ومحمد القلاّل، وحسن بن الوحشيّة، ومحمد المعتمري، وأهل البعثة التي أوفدتها الصّادقيّة للأستانة لإتمام تعلّمهم في اللغة التركيّة هو المرحومون: رشيد بوعمود، والطاهر ثابت، ومحمد بن يحيى.

ثمّ إنّ إدارة المعارف اجتهدت في توسيع نطاق المدرسة الصّادقيّة بإحداث فروع لها بالحاضرة

(9) استقال العربي زروق من منصب مدير المدرسة الصّادقيّة، وهاجر بلاده احتجاجا على انتصابالحماية الفرنسيّة على تونس في 12 ماي 1881.

(*) مجلة شمس الإسلام- الجزء3 - المجلد-1 1937.

(11) [المقيم العام كمبون (Paul CAMBON: 1882 – 1886)، هو الذي ركّز نظام الحماية الفرنسيّة بالمملكة التونسيّة].

التونسيّة عزّزوها بفتح المدرسة العلويّة التي نصبوها بمدرسة الشيخ محمد بن ملوكة بباب القرجاني، وبمدرسة سان شارل التي أحدثها الكردينال لافيجري وابتاعتها الدّولة التونسيّة من الكنيسة بمليون فرنك، وسمّتها المدرسة الصّادقيّة العليا، ثمّ سمّتها باسم الفقيد مسيو سادي كارنو [CARNOT] رئيس الجمهوريّة في سنة 1311هـ[1893م] تخليدا لذكره، وهاتان المدرستان والمدرسة الصّادقيّة هي أسّ التّعليم الرّسمي باللغة الفرنسيّة في المملكة التونسيّة، وما أضيف لذلك كان ظهوره على التّدريج حسب اتّساع نطاق العمران وتعميم اللسان الفرنسي بالحاضرة والآفاق.

ونعود للكلام على المدرسة الصّادقيّة فنقول: إنّها في دورها الاوّل زارها كثير من رجال الشّرق والغرب، منهم المرحوم جمال الدّين الأفغاني، وفي دورها الجديد زارها أيضا كثير من عظماء الفرنسيين، منهم الكردينال لافيجري (LAVIGERIE) ويؤثر عنه قوله أثناء تلك الزيارة ما معناه : «إنّ العنصر التّونسي أهل لتلقّي الثّقافة الأوربيّة، وإنّه ما برح معتقدا أنّ الدّيانة الإسلاميّة لها تأثير عظيم في مقام التّربية الروحيّة، وأنّ العرب جنس شريف لا تصلح بهم إلاّ شريعة الإسلام، وهم لا يصلحون إلاّ بها».

وفي سنة 1310هـ [1892م] آلت إدارة المدرسة الصّادقيّة للمستعرب دلماس[12] (DEL-MAS) بعد أن تولاّها قبله ستّة من التّونسيّين، وهم: أمير اللواء السيد العربي زروق، وأمير اللواء السيّد حسونة متالي، وأمير اللواء السيد عمر بن بركات، والأمير ألاي السيد محمد القروي (بارك الله في أنفاسه)، والسيد العروسي بن عيّاد، والسيّد الطاهر بن صالح. وفي مدّة مسيو دلماس وقعت نقلة المدرسة الصّادقيّة في سنة 1315هـ [1897م] من قشلة الزّنايدية الموقوفة عليها، للبناء المشمخرّ الذي أسّسته لنفسها من حرّ مالها جوار قشلة القصباء، وبلغت مصاريف بنائها يومئذ الأربعمائة ألف فرنك، وقد أرّخوا نقلتها لبنائها الجديد بأبيات مطلعها:

هـذا المحـلّ هو المحل الأكرم يهب العلـــوم لمن به يتعلّم

وبيت التّاريخ:

يا أيّهـــا المتعلّمـــــون به لقد أرّخـت فيـــه فوزكم والمغنم

1315هـ[1897م]

(12) تولى المستعرب دلماس إدارة المدرسة الصدقية من سنة 1892 إلى سنة 1912

ومات المستعرب دلماس مأسوفا عليه من تلاميذه التونسيّين الكثيرين، وخلفه غيره ممّن لم يكن بدرجته في فقه اللغة العربيّة وأخلاق أهل هذه البلاد[13]، فتقاصر بالمدرسة تعليم العربيّة، الأمر الذي أثار الخواطر، وتسبّب عنه قيام ضجّة صحفيّة استلفتت أنظار دولة الحماية، ولا سيما مدير المعارف العلاّمة مسيو شارليتي (CHARLETY) فتدارك ذلك بوضع برنامج مستكمل في العلوم العربيّة والعصريّة تعطي للتلميذ في ختام مزاولتها شهادة بالتّحصيل، تؤهّله في الوقت نفسه للحصول على شهادة الباكلوريا التي هي شهادة التّبريز في التعليم الثانوي، وما بعدها هو التّعليم العالي، كالحقوق، والطبّ، والصيدلة، والهندسة، وشبه ذلك، ويوجد في الوقت الحاضر، أربعة عشر شابّا من تلاميذها بصدد مزاولة علوم الطّبّ، والحكمة، والصّيدلة، والتّجارة، والسّياسة، بمدارس فرنسا العليا، تحمل صندوق المدرسة بمدّهم بإعانات معتبرة لإتمام نصاب تحصيلهم في تلك العلوم.

وقد أنتجت المدرسة الصّادقيّة في بحر الجيلين الأخيرين طبقة من التونسيّين يحقّ لبلادهم الافتخار بهم، منهم صاحبنا المرحوم البشير صفر والمرحوم محمد الأصرم، والمرحوم علي باش حانبة، وغيرهم من نخبة الأقران الذين امتطوا صهوة الوظائف السّامية، وقاموا بالمساعي الجليلة والأعمال النّافعة، ومنهم من ساعده الحظّ على تسنّم ذروة الوزارة وآخرون بلغوا مسند الصّدارة، ونبغ من تلاميذ الصّادقيّة في الزّمن القريب نخبة من الشبّان برعوا في آداب اللغتين العربيّة والفرنسيّة، وفي الفنون العصريّة، وأدركوا بكدّهم وجدّهم درجة عالية في المعارف كالدّكتورا والأستاذيّة، لذلك رأت دولة الحماية عند شغور إدارة المدرسة في المرّة الأخيرة تشريك أحد المبرّزين من خرّيجيها * وهو الأستاذ الضّليع السيد محمد عطيّة[14] في إدارة شؤونها عملا بسياسة التّعاضد والمشاركة بين العنصرين الفرنسي والتّونسي في العمل والانتفاع، وبهذا التّصنيف والتّنصيف من الإنصاف سكت عن موسى الغضب، وبات الفكر العام في هدوء وسكون، بعد أن كان مجاهرًا بطلب إرجاع إدارة المدرسة لأحد المثقّفين من ابناء البلاد.

ولا خلاف في أنّ المدرسة الصّادقيّة أصبحت لهذا العهد محطّ الأنظار ومحل الرّجاء

(13) بعد وفاة المستعرب دلماس، تولّى إدارة المدرسة الصّادقيّة المسيو بولون [Bollon] من سنة 1912 إلى سنة 1927 ثمّ المسيو ميرا [Merat] من سنة 1927 إلى سنة 1934.

(14) الأستاذ محمد عطيّة هو أوّل تونسي مبرّز في اللغة العربيّة، عيّن مديرا مساعدا للمدرسة الصّادقيّة من سنة 1934 إلى سنة 1944، ثمّ مديرا من سنة 1944 إلى سنة 1955.

رسالة خير الدين باشا إلى محمد مرابط عامل الجريد

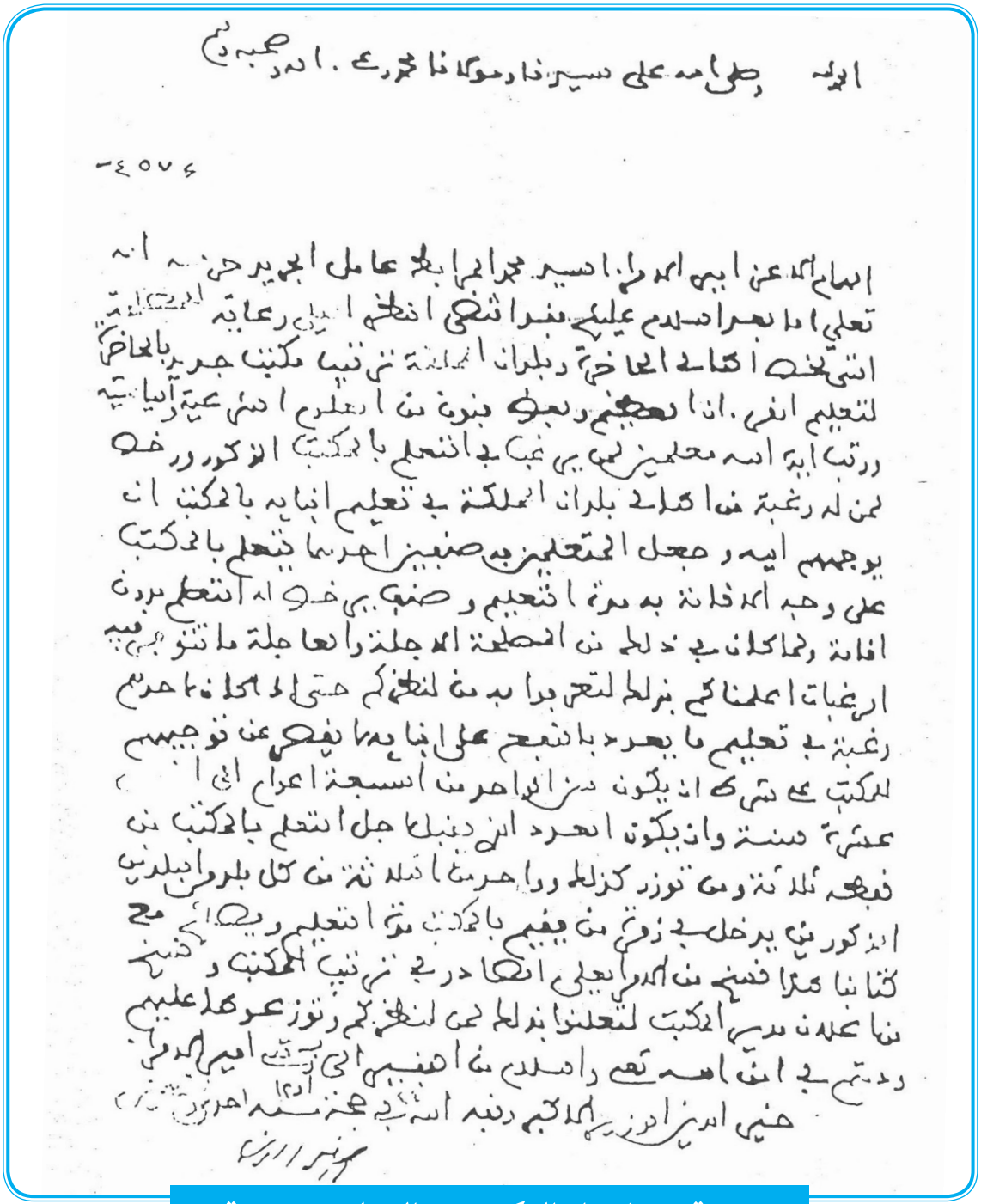

نسخة من إهداء الدكتور عبدالوهاب بوحديبة

والانتظار، لأنّها سالكة بتلاميذها مسلك الاستكمال بتعليم نافع مفتوح بابه على مصراعيه، وما زالت إدارتها مجتهدة في توسيع نطاق التّعليم بها، ناهيك أنّ بها اليوم من التّلاميذ ثلاثمائة وثلاثون، وإذا أضفنا لها تلاميذ فرعها المجاور لها، يصير مجموع عدد المتعلّمين ستّمائة وثلاثين تلميذا، والعزم معقود على إضافة أقسام جديدة خصّصت الدولة لأجلها مليونا من الفرنكات لبناء محلاّت جديدة حول المدرسة للتّعليم، بما يحمل على الظّنّ وأنّ تلاميذ المدرسة الصّادقيّة سيبلغ عددهم الألف أو أكثر في مستقبل السّنين. ولا بدّ للمنصف أن يعترف هنا بما لمدير المعارف الموجود العلاّمة مسيو قو (GAU) من الأيادي البيضاء في سبيل مساعدة المدرسة الصّادقيّة جريا على قدم سلفه الأسبق مسيو شارليتي الذي جعل نفقة التّعليم الفرنسي بالمدرسة على خزينة الدولة التونسيّة، وقدر ذلك في الزّمن الحاضر قريب من المليون، وأبقى بعهدة أوقاف المدرسة مصاريف تعليم العلوم العربية وغير ذلك من الشّؤون. وهذه المصاريف تستغرق جملة مداخيل المدرسة، ولولا إعانة الدّولة لها لما تمكّنت خلال هذه الضّائقة الماليّة من توسيع المجال لتعليم العلوم العصريّة واللغة الفرنسيّة لحدّ مضاعفة غالب الأقسام بالمدرسة زيادة على الخمسة عشر قسمًا الموجودة بفرعها.

أمّا عدد المدرّسين المنتخبين من جامع الزيتونة لتدريس الفقه والعلوم العربيّة بالمدرسة الصّادقيّة، فقد تضاعف عن ذي قبل، بحيث صاروا اليوم أحد عشر بين أستاذ ومدرّس، وعدد المعلّمين الفرنسيين كذلك.

ومن متمّمات المدرسة الصّادقيّة وكالة أوقافها، وهي الآن لنظر الحازم النّزيه السيد الهادي بن الطّاهر[15] وهو من الأفراد النّابغين الذين أنبتتهم رياض المدرسة الصّادقيّة، وأوّل من تولّى هذه الخطة في عصر الحماية، الشّهم الغيور المرحوم السيد حسّان بن القائد أحمد، وأوّل طبيب بالمدرسة النّطاسي المرحوم السيد قدّور بن أحمد. وكان عدد المؤدّبين بالمدرسة عند تأسيسها اثني عشر مؤدّبا من مشاهير الحفّاظ، ومنهم من كان جامعًا بين الحفظ والأدب.

هذه خلاصة تاريخ حياة المدرسة الصّادقيّة التي هي اليوم في السّنة الرّابعة والستّين من عمرها، والرّجاء دوامها في العيش الرّغيد، والزّمن السّعيد، والنّفع المزيد، إلى الأبد الأبيد.

(15) الهادي بن الطّاهر وكيل أوقاف المدرسة الصّادقيّة من سنة 1907 إلى سنة 1941.

اعلان

المدرسة الصادقية

الحمد لله الوزارة المصونة تعلن بما يأتي

المدرسة الصادقية بالحاضرة المحمية ستفتح ان شاء الله تعالى للتعليم في العشرين من المحرم الحرام فاتح شهور العام الجديد المبارك عام اثنين وتسعين ومائتين والف * وهي معدة لتعليم القرءان العظيم والعلوم النافعة الشرعية بوسائلها والمعارف السياسية على مقتضى تراتيبها المرضاة من الحضرة العلية * ويقبل فيها من التلامذة من كان في سن سبع سنين الى تمام خمسة عشر عاما هذا في السنة الاولى وهي سنة ١٢٩٢ اما فيما بعدها فيقبل من كان في سن السبع الى سن العشر * وجملة من يقبل فيها مائة وخمسون تلميذا مائة من اهل الحاضرة وخمسون من اهل الافاق التونسية * وهولاء التلامذة على صنفين الصنف الاول يقيمون بالمدرسة ليلا ونهارا والدولة تتكفل لهم بجميع ضروريا تهم مجانا * وعدد هذا الصنف خمسون ثلاثون من اهل الحاضرة وعشرون من اهل الافاق * والصنف الثاني ياتون للتعليم نهارا ويبيتون عند اهلهم وعددهم مائة سبعون من اهل الحاضرة وثلاثون من اهل الافاق والدولة تتكفل لجميعهم بضروريات التعليم فقط مجانا * فمن اراد ان يعلم ولده او قريبه بالمدرسة المذكورة فليقدم الى ناظرها اسمه واسم التلميذ مع بيان سنه ومحل سكناه وما يختاره من الاقامة بالمدرسة او الاتيان اليها نهارا للتعليم * ومن ليس له ولي فليات الى المجلس البلدي ليكون دخوله للمدرسة على طريق المجلس البلدي والمجلس يقدم اسمه * ومحل تقييد الاسماء المدرسة من قبل الزوال بثلاث ساعات الى الزوال في مدة نهايتها شهر من تاريخ هذا الاعلان * ويقدم الاسبق في التقييد اذا اجتمع من الاسماء اكثر من العدد المطلوب وهو المائة والخمسون تلميذا *

وكتب في الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة احدى وتسعين ومائتين والف * (امضاء المولى الوزير الاكبر) خير الدين

الفتح العثماني في الشّمال الإفريقي

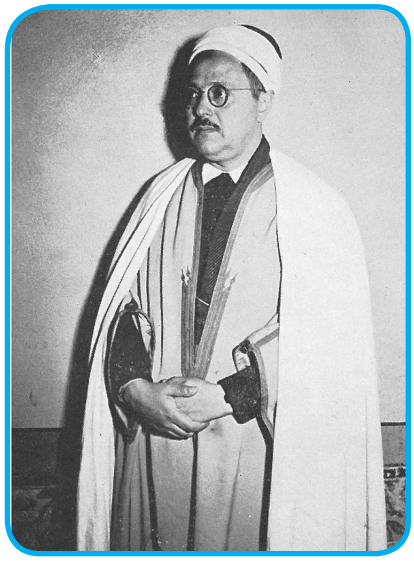

بقلم الشيخ محمد الشاذلي النيفر
المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية

تزعزعت الدولة الحفصية بعد وفاة السلطان أبي عمرو عثمان الذي كان من أجلّ بني حفص، فقد تولى السلطنة سنة (839هـ) ولم يكتف بلقب السلطنة إذ تولاها وأحسن الحكم، ولم يترك الدولة فوضى يتصرف فيها المستبدون من الأعراب الذين كدروا صفو حياة إفريقية باستبدادهم وخروجهم عن حكم الدولة ممّا أدّى بها إلى الضعف، وعدم الاستقرار كما وقع للملوك قبله فإنّه عرف كيف يكسر شوكتهم ويتمكن من الحكم بيد قوية.

ولم يَرَ في طول مدة حكمه ضعفا فلذلك خافه الثائرون على السلطان، واستمر في حكمه النافذ إلى أن أدركه أجله فتوفي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة.فقد بلغت مدة حكمه أربعا وخمسين سنة انتعشت فيها إفريقية وامتد سلطان الدولة.

ابتداء الضعف في الدولة الحفصية:

تولى الإمارة حفيد أبي عمرو عثمان أبو يحيى زكريا يوم وفاته، لكن حين خرج بالمحلة لتمهيد عافية البلاد على عادة جده انخزلت من الجند جماعة ادعوا أنّ السلطان أخذت محلّته الأعراب فوثب على الملك ابن عمّه، وهي دعوى اختلاق وافتراء، وبان ذلك حين رجع السلطان إلى الحاضرة وفرّ ابن عمّه فظفر به وقتل ولم تطل أيّام هذا الحفيد فتوفي بطاعون سنة (899هـ) فكانت مدة ملكه ست سنين.

ظهر بفرار بعض جند المحلة التي مع السلطان حفيد أبي عمرو عثمان أنّ الدولة دبّ فيها الضعف ولم تبق منسجمة كما كانت في أيّام جده.

اتّساع الخرق:

عند ولاية ابن عمّه أبي عبد الله محمد بن الحسن ظهرت قوتان عظيمتان إحداهما بالشرق وهي الدولة التركية العثمانية، وأخرى بالغرب وهي الدولة الإسبانية وكان محل الالتقاء بينهما الشمال الإفريقي لأنّ الدولة العثمانية التركية استولت على مصر سنة 923 هـ فبقي المتسع لها خاليا من القوة.

وكذلك لما استولى الإسبان على غرناطة 897هـ طمحت أنظارهم إلى إعادة الشمال الإفريقي، وكان مركز الضعف هو الجزائر وتونس، وفيهما وقعت المواجهة.

وكان الذي يسوس الدولة العثمانية سليمان القانوني وقد ظهر في مدّة حكمه مهرة الملاحين أسرة (بربروس) الشهيرة، ورأسها خير الدين بربروس، واستولى خير الدين على كثير من ثغور شمالي إفريقية فدانت له الجزائر التي استولى عليها أخوه عرّوج وخرجت من يد الدولة الحفصية، وظهر ضعف الدولة حين انهزم أبو عبد الله محمد بن الحسن على القيروان.

وتحركت في الغرب القوة المسيحية واتحدت وكان رأس هذا الاتحاد إسبانيا، ومعها البابا والبندقية وغيرها سنة 979هـ ودفع إلى هذا الاتحاد استيلاء الاتراك على قبرص الذي بسببه قويت شوكة العثمانيين في البحر، واتجاه هذا الاتحاد لأجل مهاجمة تونس والجزائر وتركيا.

وقد تمكن النصارى من طرابلس قبل هذا الاتحاد سنة 914هـ وبقيت بأيديهم إلى أن أخذها درغوث باشا،

وولاية طرابلس كانت جزءا من المملكة الحفصية، وكذلك أخذوا بجاية سنة 915هـ وبقيت بأيديهم مدة.

ولم يبق بيد محمد بن الحسن حفيد أبي عمرو عثمان من ملك جده إلا القليل، في سلطان ضعيف، وتوفي سنة 932هـ ومدته نيف وثلاثون سنة.

ابتـــداء الكـــارثـة.

انتقل الملك إلى ابنه الحسن بن محمد بن الحسن حفيد أبي عمرو عثمان يوم وفاة أبيه المتقدم، وخرج من يده مما بقي من ملك أبيه سوسة والقيروان استبد بهما شيخ عرفة وفي أيامه استولى الأتراك على قسنطينة من الجزائر، وتغلب الأعراب على جل البلاد، ودخل خير الدين باشا إلى تونس وهو أحد أبناء عائلة باعت أنفسهم لله تعالى وذلك أنّ الحسن الحفصي تخوف من خير الدين فحين طلب منه البارود لفتح بجاية تغافل عنه، فقصد خير الدين بربروس تونس حين اطمأنت قدمهُ في الجزائر.

- ولما علم الحسن الحفصي بقدومه إلى تونس فرّ منها هاربا لعدم قدرته على مقاومته فدخلها خير الذين وضمها إلى الخلافة العثمانية وأصبحت إحدى ولاياتها العديدة.

ولم يطب المقام لخير الدين في تونس فثار عليه أهل باب سويقة، فأطفأ نار الحرب وأمن الناس وبعد هذه الثورة عاد الحسن الحفصي في طوائف من الأعراب وأراد افتكاك تونس ولم ينجح.

- ولما رأى الحسن الحفصي أن لا قدرة له على افتكاك تونس ولى وجهه نحو الإسبان وبذل لهم ما بذل من الاموال فجاء الاسطول الاسباني ونزل جيشه قرب حلق الوادي وكانت قوته عظمى عجز عن مدافعتها خير الدين خصوصا أن الاسرى الذين أسرهم خير الدين ثاروا بالقصبة واعتصموا بها فرجع خير الدين إلى الجزائر ودخل السلطان الحسن الحفصي بالجيش الاسباني إلى الحاضرة واستبشر بهم الأعراب، وغدر الاسبان بأهل الحاضرة بعد أن أعطوا الأمان لأنهم استباحوا تونس ثلاثة أيام باتفاق مع السلطان فذهبت الأنوال وتشتت أهلها حتى أنه قيل في هذه الواقعة مات الثلث من أهل تونس ونجا الثلث وأسر الثلث وافتدى من له مال وبلغت الفدية ألف دينار.

- وفي هذه الفترة ابتدأ الاسبان في بناء قلعة حلق الوادي التي أقامها الاسبان مركزا لهم في تونس ثم إنّ السلطان الحسن الحفصي الذي استرد تونس بالجيش الإسباني أراد افتكاك القيروان

ابتداء الضعف في الدولة الحفصية:

تولى الإمارة حفيد أبي عمرو عثمان أبو يحيى زكريا يوم وفاته، لكن حين خرج بالمحلة لتمهيد عافية البلاد على عادة جده انخزلت من الجند جماعة ادعوا أنّ السلطان أخذت محلّته الأعراب فوثب على الملك ابن عمّه، وهي دعوى اختلاق وافتراء، وبان ذلك حين رجع السلطان إلى الحاضرة وفرّ ابن عمّه فظفر به وقتل ولم تطل أيّام هذا الحفيد فتوفي بطاعون سنة (899هـ) فكانت مدة ملكه ست سنين.

ظهر بفرار بعض جند المحلة التي مع السلطان حفيد أبي عمرو عثمان أنّ الدولة دبّ فيها الضعف ولم تبق منسجمة كما كانت في أيّام جده.

اتّساع الخرق:

عند ولاية ابن عمّه أبي عبد الله محمد بن الحسن ظهرت قوتان عظيمتان إحداهما بالشرق وهي الدولة التركية العثمانية، وأخرى بالغرب وهي الدولة الإسبانية وكان محل الالتقاء بينهما الشمال الإفريقي لأنّ الدولة العثمانية التركية استولت على مصر سنة 923 هـ فبقي المتسع لها خاليا من القوة.

وكذلك لما استولى الإسبان على غرناطة 897هـ طمحت أنظارهم إلى إعادة الشمال الإفريقي، وكان مركز الضعف هو الجزائر وتونس، وفيهما وقعت المواجهة.

وكان الذي يسوس الدولة العثمانية سليمان القانوني وقد ظهر في مدّة حكمه مهرة الملاحين أسرة (بربروس) الشهيرة، ورأسها خير الدين بربروس، واستولى خير الدين على كثير من ثغور شمالي إفريقية فدانت له الجزائر التي استولى عليها أخوه عرّوج وخرجت من يد الدولة الحفصية، وظهر ضعف الدولة حين انهزم أبو عبد الله محمد بن الحسن على القيروان.

وتحركت في الغرب القوة المسيحية واتحدت وكان رأس هذا الاتحاد إسبانيا، ومعها البابا والبندقية وغيرها سنة 979هـ ودفع إلى هذا الاتحاد استيلاء الاتراك على قبرص الذي بسببه قويت شوكة العثمانيين في البحر، واتجاه هذا الاتحاد لأجل مهاجمة تونس والجزائر وتركيا.

وقد تمكن النصارى من طرابلس قبل هذا الاتحاد سنة 914هـ وبقيت بأيديهم إلى أن أخذها درغوث باشا، وولاية طرابلس كانت جزءا من المملكة الحفصية، وكذلك أخذوا بجاية سنة 915هـ وبقيت بأيديهم مدة.

السلطان سليم

ولم يبق بيد محمد بن الحسن حفيد أبي عمرو عثمان من ملك جده إلا القليل، في سلطان ضعيف، وتوفي سنة 932هـ ومدته نيف وثلاثون سنة.

ابتداء الكارثة

انتقل الملك إلى ابنه الحسن بن محمد بن الحسن حفيد أبي عمرو عثمان يوم وفاة أبيه المتقدم، وخرج من يده مما بقي من ملك أبيه سوسة والقيروان استبد بهما شيخ عرفة وفي أيامه استولى الأتراك على قسنطينة من الجزائر، وتغلب الأعراب على جل البلاد، ودخل خير الدين باشا إلى تونس وهو أحد أبناء عائلة باعت أنفسهم لله تعالى وذلك أنّ الحسن الحفصي تخوف من خير الدين فحين طلب منه البارود لفتح بجاية تغافل عنه، فقصد خير الدين بربروس تونس حين اطمأنت قدمهُ في الجزائر.

- ولما علم الحسن الحفصي بقدومه إلى تونس فرّ منها هاربا لعدم قدرته على مقاومته فدخلها خير الذين وضمها إلى الخلافة العثمانية وأصبحت إحدى ولاياتها العديدة.

ولم يطب المقام لخير الدين في تونس فثار عليه أهل باب سويقة، فأطفأ نار الحرب وأمن الناس وبعد هذه الثورة عاد الحسن الحفصي في طوائف من الأعراب وأراد افتكاك تونس ولم ينجح.

- ولما رأى الحسن الحفصي أن لا قدرة له على افتكاك تونس ولى وجهه نحو الإسبان وبذل لهم ما بذل من الاموال فجاء الاسطول الاسباني ونزل جيشه قرب حلق الوادي وكانت قوته عظمى عجز عن مدافعتها خير الدين خصوصا أن الاسرى الذين أسرهم خير الدين ثاروا بالقصبة واعتصموا بها فرجع خير الدين إلى الجزائر ودخل السلطان الحسن الحفصي بالجيش الاسباني إلى الحاضرة واستبشر بهم الأعراب، وغدر الاسبان بأهل الحاضرة بعد أن أعطوا الأمان لأنهم استباحوا تونس ثلاثة أيام باتفاق مع السلطان فذهبت الأنوال وتشتت أهلها

حتى أنه قيل في هذه الواقعة مات الثلث من أهل تونس ونجا الثلث وأسر الثلث وافتدى من له مال وبلغت الفدية ألف دينار.

- وفي هذه الفترة ابتدأ الاسبان في بناء قلعة حلق الوادي التي أقامها الاسبان مركزا لهم في تونس ثم إنّ السلطان الحسن الحفصي الذي استرد تونس بالجيش الإسباني أراد افتكاك القيروان من يد الشابي، ولكنه هزم فرجع إلى اسبانيا مستنجدا بالإسبان مرة ثانية لأخذ القيروان والمهدية ولم يرتض ابنه أبو العباس استنجاد أبيه بالإسبان فخلعه ونادى بنفسه سلطانا واستعان بأهل تونس الذين كانوا حانقين على أبيه لما لحقهم منه.

الحسن الحفصي

- ولما بلغ الخبر إلى أبيه اشتد حنقه عليه وجاء بأسطول إسباني وجيش لافتكاك تونس الحاضرة فخيّب الله أمله وانهزم من معه من الإسبان فأسر وأتى به إلى ابنه وطلب العامة قتله، ولكن ابنه أبى من قتله فسمل عينيه فأصبح أعمى أسيرا عند ابنه ولكنه فرّ إلى القيروان إلى زاوية الجديد وبها توفي.

ولم ينته التنازع على الشمال الإفريقي، فلم يلق هذا الشمال النكبات من الاسبان خاصّة حين غزا أهل نابلي وجنوة المهدية وخربوها، وامتلكوا جزيرة جربة ستة أشهر، وافتكها منهم درغوث باشا، كما خلص طرابلس سنة 958هـ وخلص القيروان من يد الشابيين.

- وأراد أبو العباس الحفصي احتلال قلعة حلق الوادي لأن أهل تونس لاقوا منها الشدائد بسبب أن الأسبان يرسلون سفنا حربية في البحيرة تحمل المدافع ترمي بها البلاد، وأنّى له أن يتغلب عليها لقوتها وحصانتها.

-ثمّ إنّه تنكر لوزيره ففر منه إلى صاحب الجزائر علي باشا التركي فتحرك إلى تونس ولم يستطع أبو العباس الحفصي الوقوف في وجهه فصنع ما صنعه أبوه فاستعان بالإسبان إذ فرّ إلى حلق الوادي، ومن هناك قصد أسبانيا فمُدّ بأسطول وجيش.

مـــن ذكـــريـــاتي
مع الأستاذ محمود المسعدي

رئيس مجلس النوّاب آنذاك

الأستاذ : حامد المهيري

عندما يستجيب الظّرف الزّمني للحوار بين شخصين، أو فئتين، او مجتمعين، نرفع الحواجز، وتنكشف الحقائق، وتنفتح العقول فتستنير، وتتوفّر سعة الصّدر، آنذاك صدق من قال: «من سمع بأذنه صار حكيما، ومن أصغى بقلبه كان واعيا، ومن وعظ بفعله كان هاديا» وفي المثل الانجليزي « أصل الحكمة التبصّر».

وقد كنت خلال نشاطاتي في جمعيّات ثقافيّة، واجتماعيّة، وأسرية، اكتسبت ما تضمّنته هذه الحكمة الهنديّة « عوّد نفسك على الاتّصال والانفصال ، بيسر ونعومة، و حدّد المسافة بينك وبين الآخرين، بذكاء ولباقة، متجنّبا الغضب، والعنف، والانفعال، واعلم أنّ هذا يحتاج منك إلى ثقة شديدة، وشجاعة فائقة».

وكما قال الله تعالى حين أكّد للإنسان « لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»(ق آية 22). نعم الإنسان يغفل وكثير من النّاس حين تنكشف أمامهم الحقائق يقولون « يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا»(الأنبياء آية 97) ويدركون أنّ الفوز بالحقائق «ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ» (الزّمر آية 23) ولا يجول فى ذهن أحد غير قول الله تعالى « وَمَا تَشَاؤونَ إِلاّ أَن يَشَاءَ الله» (الإنسان آية 30)

فقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن أتخلّى عن التدريس كمدرّس، وأباشر العمل الإداري ضمن إدارة السّلطة التشريعيّة في مجلس النوّاب، فوجدت نفسي قد اندمجت في تكوين جديد يشرف عليه الأستاذ محمود المسعدي، رئيس مجلس النوّاب آنذاك، كنت حذرا في بدء لقائي معه، ومستعدّا الاندماج في هذه المهمّة الجديدة، وإذا بهاتف يطمئن نفسي وقلبي مرشدا إيّاي «لا تخف» فكان اللّقاء بابتسامة مشرقة، وكلمة طيّبة، «سنتعاون على الإصلاح وما ينفع النّاس» فكان ما قال، ودامت العشرة، فنعم العشير المرشد المفيد بسداد رأيه، نالني الشّرف أن شرّكني في إصلاحاته، بتوجيهاته كخبير ممتاز، في نظام الجلسات العامّة، وتطهيرها من المشاركات الفوضويّة، وتنظيمها بطلب أخذ الكلمة بوثيقة أعدّت لذلك، وبوثيقة أخرى بطلب الاعتذار عن الحضور لأسباب مقبولة. ومن فرائد هذا النّظام كان أحد النوّاب سلّم بطاقة لطلب الكلمة بخطّ يده، في فترة دراسة الميزانيّة العامّة للدّولة، ونسي، ولمّا أسند إليه الأستاذ محمود المسعدي الكلمة، أجاب:

إنّي لم أطلبها فالتفت الأستاذ محمود المسعدي إليّ مستفسرا، فكشفت له عن بطاقة طلب النّائب، وهو من أطيب النّاس فأمرني الأستاذ محمود المسعدي باستظهارها إليه، وعندما قدّمتها له اعتذر وخجل، فهذا بفضل الاصلاحات التّنظيميّة الجديدة. في نظام طلب الكلمة إن كانت الحجّة هي الواقية من الوقوع في الحرج.

والمشهد الثّاني:

كانت نائبة محترمة وطيّبة الأخلاق تريد مقابلة الأستاذ محمود المسعدي رئيس المجلس لتوضيح موقف من مواقفها، فطلبت منّي إشعاره لرفع الالتباس في موقفها، فأعلمته بذلك فقال لي: «يا ابني قل لها تتفضّلي الآن» وكانت الفترة فترة استراحة. ولمّا أخبرتها سرّت بالموافقة واستبشرت، فتمّ اللّقاء، فخرجت مسرورة، منشرحة الصّدر، ممّا لاقته من معاملة طيّبة، ومن مستوى الحوار الرّفيع، واللّقاء المنعش، والمريح.

والمشهد الثّالث:

حصل خلاف بين الأستاذ محمود المسعدي كرئيس للمجلس ونائبة الرّئيس الأستاذة الموقّرة فتحيّة المختار قرينة محمد المزالي حول حدود مسؤوليّة جمعيّة البرلمانيين أمام سعة مسؤوليّة السلطة التشريعيّة. وزال الخلاف بالّتي هي أحسن. وقد التزمت الإدارة بحدود مسؤوليّاتها كعادتها كأنّ شيئا لم يكن. وقد تدخّل رئيس

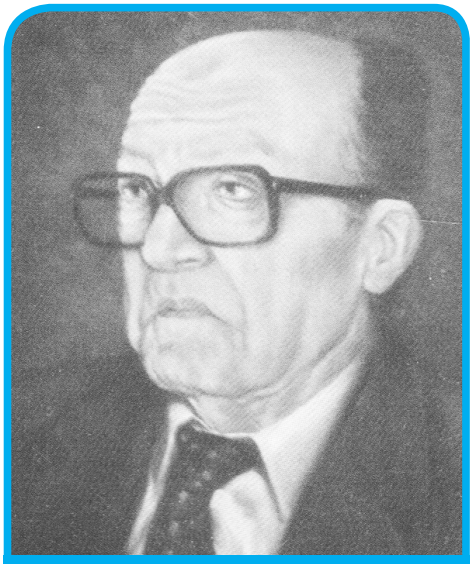

الأستاذ محمود المسعدي

الجمهوريّة الزعيم الأستاذ الحبيب بورقيبة في الموضوع.

ولن أنسى الفترة الحرجة التي وقف فيها الأستاذ رؤوف باشا الكاتب العام للمجلس آنذاك موقفا مشرّفا في الخلاف الذي حصل بين الحزب الحاكم والنّقابة كما لن أنسى أنّ الأستاذ محمود المسعدي كان من الزّعماء الأول للنقابة التونسيّة ومن الوطنيّين الغيورين في الحزب الحاكم الذي حقّق الاستقلال للبلاد، وركّز النّظام الجمهوري على أسس متينة بالتّفريق بين السّلط: التنفيذيّة والتّشريعيّة، و القضائيّة، ولازالت والحمد الله قائمة الذات، شامخة المعالم رغم التغيّرات الطارئة والمفاجئة. لقد قام بدور كبير في التوفيق بين الحزب والنّقابة.

ومن ذكرياتي مع الأستاذ محمود المسعودي، رئيس المجلس، أنّني عندما كلّفت بإمامة الخطابة بجامع الفلاح الكائن في «شارع: آلان سافاري» كان متجاوبا معي حتّى في فترة دراسة الميزانيّة العامّة للدّولة، إذ سمح لي بكامل الحريّة، وبصدر رحب، حتّى أنّي استفسرته ذات يوم عن مقصده في خطابه برادس عندما كان كاتب دولة للتربية، فأجابني: كنت أقصد أنّ الجانب النّظري لا يكفي للتّلاميذ، فالجانب التّطبيقي هو الأهم، ويكون ذلك في المساجد، يقصد تعليم الصّلاة.

وفي مرافقتي له في زيارته لسوريا، طرح عليه أحد المسؤولين السّؤال التّالي: عن كتابه (السُدّ) «لماذا السدّ بضمّ السّين»؟ فتسرّعت في الإجابة «نحن في تونس نعتمد رواية قالون، وفيها السّين بالضّمّ، وأنتم تعتمدون رواية حفص وفيها السّين بالفتح «السَّدّ» فقال لهم بهدوء مشيرا إليّ بإصبعه (السبّابة) لقد أجابكم» واستمدحت قرينته المحترمة شريفة شجاعتي.

إنّني لمست من الأستاذ محمود المسعدي، عندما كنت أباشر عملي بإشرافه، كلّ تقدير، وتشجيع فكان الأب الخبير الذي يضع خبرته لأبنائه حتّى يدرسوها بعمق ويفقهوا بوضوح مقاصدها النّافعة الّتي تخرج الإنسان

من الظّلمات إلى النّور. ومن الضلالة إلى الهدى. ومحمود المسعدي أديب، ومفكّر، ومثقّف شمولي، يتميّز بسعة العلم، ويتجاوب مع أهل الفكر النيّر، ومن يتعامل معهم، يتجلّى في تعامله باطنيّة إنسانيّة الإنسان، صحيح كان صعب المراس مع الّذين لم يتمسّكوا بالقيم الكونيّة الإنسانيّة، مهما اختلفت دياناتهم ولغاتهم.

ويقينا أنّ أهل الاختصاص من العلماء ممّن لازموه يعلمون علم اليقين بمكانته اللغويّة وأسلوبه العميق الدّلالات، إنّها كلمة حق أسجّلها للتّاريخ عمّن شاء القدر أن أمارس العمل الإداريّ معه بمجلس النوّاب مدّة من الزّمن، دفعتني للرّغبة في طولها لأنّي آلفته وآلفني وفي الحديث النّبوي«المؤمن يألفُ ويُؤلفُ ولا خير فيمن لا يألفُ ولا يؤْلَفُ وخير النّاس أنفعهم للنّاس» روي عن جابر بن عبد الله.

من الفوائد التي نفعني بها أنّ للحوار أصولا متّبعة، وللحديث قواعد ينبغي مراعاتها، منها فهم نفسيّة الّذين يخاطبهم، معرفة مستواهم العلمي، وقدراتهم الفكريّة ليخاطبهم بحسب ما يفهمون وأن لا يستبدّ بالحوار ويستأثر بالحديث وحده. وأن يكون حسن الاستماع لأقوال الآخرين ويتفهّمها فهما صحيحا لا مريّة فيه ولا يقاطع المتكلّم أو يعترض عليه أثناء التحدّث إلى النّاس بنيّة إرباكه أو إحراجه. وألاّ يعتقد أو يعلن أنّ الحقّ حكر عليه وحده، وأنّ غيره بعيد عن الحقّ. وان تكون غايته الوصول إلى الحقّ والاعتراف به والخضوع له. وأن يتراجع عن الخطإ والاعتراف به إن فعله، فالرجوع إلى الصّواب فضيلة. وأن يكون كلامه في حدود الموضوع المطروح، ويبتعد عن اللّجاج وهدر الكلام، فليكن كلامه واضحا بيّنا مؤيّدا بالحجج، وأن يكون بعيدا عن التّنطّع في كلامه ففي الحديث النّبوي "هلك المتنطّعون" روي عن ابن مسعود. و "هلك المتقذّرون" روي عن أبي هريرة: لا يتكلّف النّطق حبّا بالتّظاهر ولفت الأنظار إلى شخصه. فالثرثرة الفارغة والتنطّع ليسا من خلق الإنسان الحكيم، ولذا اشتدّ بغض الرّسول عليه الصّلاة والسّلام للمتنطّعين فقال: "إنّ ابغضكم إليّ ,ابعدكم منّي مجلسا الثرثارون والمتفيهقون المتشدّقون" فتأكّدت أنّه لن يفلح حوار، إذا لم يدعم بصبر جميل، ومكارم أخلاق، واحترام الآخر.

من مكارم أخلاقه دعاني في بداية العمل أن أمتطي سيّارته إلى جانبه، ليفيدني بما أوصاني من وصايا قيّمة، منافعها جمّة، لقد هداني بالتّحلّي بالرّفق في الحوار مع

الطّيبين من النّاس، والشّدة في الحوار مع الخبيثين من النّاس، وعلّمني الإقلاع التّام عن العنف، وقد اكتشفت هذه الوصايا في أحاديث نبويّة منها "إذا أردت أن تفعل أمرا فتدبّر عاقبته، فإن كان خيرا فأمضه، وإن كان شرّا فانته" رواه ابن المبارك عن أبي جعفر عبد الله بن مسور الهاشمي.

و"إذا أردت أمرا فعليك بالتّؤدة حتّى يريك الله منه المخرج" رواه البيهقي وأبو داود كذلك "إذا رأيتم الامر لا تستطيعون تغييره فاصبر حتّى يكون الله هو الّذي يغيّره" رواه البيهقي وأبو عدي عن أبي أمامة.

وأيضا "إنّ الشّديد ليس من غلب الرّجال ولكنّ الشّديد من غلب نفسه" رواه أبو حازم عن أبي هريرة. ثمّ هناك حديث نبوي له أهميّة عظمى في الرّشد والهدي: "إذا اراد الله بعبد خيرا صيّر حوائج النّاس إليه" رواه الدّيلمي عن أنس وأهميّته في الدّعوة للتّحلي بمكارم الأخلاق عند تحمّل المسؤوليّة. لأنّ كما روي عن ابن مسعود " جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من اساء إليها".

تلك هي الخصال التي وجدتها في تعاملي مع الاستاذ محمود المسعدي. وإليكم بعض المشاهد الرّائعة أذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر :

ذات يوم كنت أحمل إليه ملفّ الوثائق الّتي سيمضي عليها فوجدت بجانبه أستاذي الجامعي الّذي أكنّ له كلّ تقدير ومودّة الأستاذ توفيق بكّار، فبعد أن أدّيت لهما التحيّة قال الأستاذ المحترم توفيق بكّار للأستاذ محمود المسعدي رئيس مجلس النوّاب آنذاك:

"هذا ابننا" (يقصد من خرّيجي كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة) فابتسم الاستاذ محمود المسعدي، وعبّر عن ارتياحه ، ممّا جعله يكلّفني ذات يوم بإعداد دراسة معمّقة عن الزّواج بالأقارب من الجانب الدّيني والصّحّي من خلال القرآن، والأحاديث النبويّة، وأقوال العلماء الرّاسخين في العلم، فاجتهدت، بعد الاتّصال بأهل الذّكر والمعرفة، والاطلاع على المصادر والمراجع، بإعداد وثيقة، وقع توجيهها لمنظّمة الامم المتّحدة، واليونسكو كما هي، حسب طلب منهما، إلى جانب ما ذكرته في كلامي سابقا من مشاهد هي حجّة ثانية على ما ذكرت وصدق خاتم المرسلين عليه الصّلاة والسّلام "الجمال صواب القول بالحقّ، والكمال حسن الفعال بالصّدق" روي عن جابر.

إنّنا في حاجة للالتزام بمقولة الحكيم اليوناني أبي قراط "اكشف عن الماضي، شخّص الحاضر، تنبّأ بالمستقبل".

ذكريات الدراسة بالمعهد الصادقي
زعيم الحبيب بورقيبة

نجاحي في مناظرة الدخول إلى المدرسة الصادقيّة

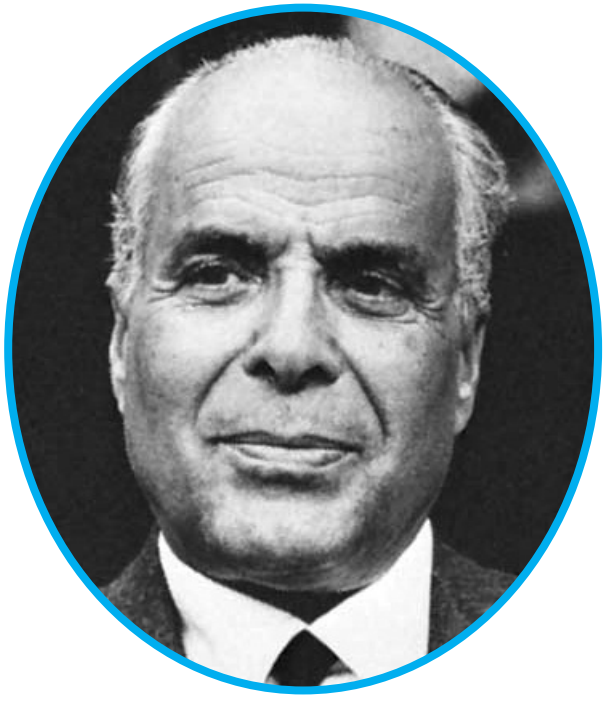

كان عام 1913 هو العام الذي تحصلت فيه على شهادة الابتدائية ففرحت قليلا لذلك وبعد أسبوع أو أسبوعين وقعت مناظرة بين جميع حاملي الشهادة الابتدائيّة لاختيار تلامذة مقيمين في الصادقيّة وشاركت في تلك المناظرة وقبلت في الصادقيّة تلميذا مقيما. وكانت المدرسة تتكفّل بطعام التلميذ المقيم وشرابه ولباسه وحمّامه مرّة كل 15 يوما وكانت مدة الدراسة 6 سنوات تختم بالشهادة العليا لانتهاء التعليم بالمعهد الصادقي. وكانت هذه الشهادة على درجة كبيرة من الأهميّة إذ هي تسمح للمرء بأن يعمل مترجما وكانت سلطة الحماية محتاجة إلى المترجمين، وأذكر أنّ والدتي لمّا سمعت أنّني نجحت في المناظرة قالت اليوم اطمأنت نفسي عليه فقد صارت الصادقيّة أمّه وستتكفّل بتعليمه ومأكله ومشربه وملبسه مدة ستة أعوام وقد سلك الطريق التي سلكها أخوته وسيصبح مترجما يكسب قوته بكد يمينه.

كنت مغرما بتتبع دروس الشمائخ وكنّا نتلقّى الدروس من اساتذة مشائخ الجامعة الزيتونية فكان المدير يخصص الساعات الخيرة من الحصة الصباحيّة من الحادية عشرة إلى منتصف النهار إلى المشائخ باعتبار أنّ هذه الدروس لا قيمة لها وأنّ الطلبة في هذا الوقت يكونون في حالة إعياء.

أمّا أنا فقد كنت مغرما بتتبع دروس المشائخ، وقد تحدّثت سابقا عن أوّل شيخ اتصلت به في المدرسة الصادقيّة الثانويّة وهو المرحوم الشيخ عبد العزيز جعيّط الذي كان أوّل ما دعانا إلى حفظه من الشّعر العربي لامية السموئل التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وهي أبيات لا يمكن أن ننساها، ولم أراجعها أبدا قبل دخولي إلى هذه القاعة، ذلك أنّي أحفظ الشيء كثير من المعلقات السبع التي منها معلقة عمرو ابن كلثوم.

ألا هبي بصحنك فأصبحنا

ولا تبقى خمور الاندرينا

مشعشعة كان الحص فيها

إذا ما الماء خالطها سخينا

وهنا يأتي موضوع الخلاف الذي لم يجد الحل إلى اليوم حول كلمة سخينا فها هي من السخاء أم هي من الحرارة أي الماء السخن والأرجح عندي أنّها من السخاء.

وهناك الشنفرى الذي هو من أكبر عدّائي العرب كالقمودي بالنسبة إلينا اليوم ولاميته مطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم

فإنّي إلى قوم سواكم لأميل

فهذه المعلقات حفظناها بسعي من مشائخنا أمثال الشيخ عبد العزيز جعيّط والشيخ محمد بن القاضي الذي كان رحمه الله قصير القامة ثخين الجسد، ويلقننا النحو، فكّنا نهمل دروس السيد موريال الذي كان يعلمنا النحو العربي على الطريقة التونسيّة وباصطلاحات فرنسيّة كقولهم «لينونسياتيف».

وكان من بين مشائخنا الشيخ حميدة النيفر عليه رحمة الله الذي كان ثخينا وصاحب بطن بارزة نسميه «ترانزاتلنطيك» أي باخرة المحيطات. والملاحظ أنّه كان يرسل ابنه الشيخ البشير النيفر أطال الله عمره ليعوضه عندما يصاب بمرض نظرا لكبر سنّه، والبشير النيفر هذا ضعيف البنية طويل الرقبة وكان اذاك في مقتبل العمر، يدخل القاعة في حياء وخجل فنحدث في القاعة موجة من الصياح فتنهار معنوياته.

وذات يوم قام أحد الطلبة بعمل غير لائق ضد هذا الشيخ فما كان منه إلاّ أن استدعى القيم لإعلامه بما صدر عن التلامذة، وعندما وصل هذا الأخير للقاعة انتبه إلى وجود قطرة من الحبر على الارض فأذن بجلب سطل ماء لمحو ها ولم يتفطن لوجود الشيخ بل نسيه ولم يعبأ بشكواه وبقي يفكر في قطرة الحبر وفعلا أوتي بسطل ماء وحجرة لمحو أثر تلك القطرة.

وقام بعض التلامذة بعمل ينم عن قلة حياء إزاء الشيخ حميدة النيفر قصد الاضحاك منه ففي يوم من الأيّام وضعوا على كرسيه طبقا من الورق المقوّى بعد طليه بمادة لزجة، وعند وصوله إلى قاعة التعليم جلس على كرسيه، وإثر انتهاء الدرس وقف وإذا بالكرسي يبقى ملتصقا بثيابه فلم يتفطن له وخرج به إلى باب المدرسة، فتوجه نحوه البواب العم صالح وقال له/ سيدي الشيخ إنك

حامل معك كرسيك فصاح الشيخ «يل لهم من كلاب...»

وانتزعوا الكرسي واعتقد أنّ مثل هذه الألاعيب غير موجودة الآن في الكليات والمعاهد الثانويّة.

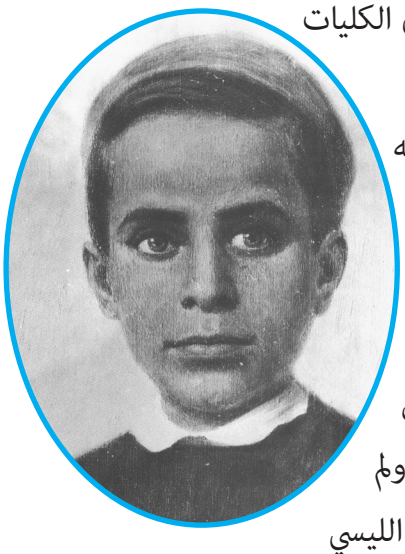

ولم أتتلمذ إلى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله ولا عن ابنه المرحوم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور.

ذكرياتي مع الأساتذة الفرنسيين

وقد كان من الأساتذة الفرنسيين السيد فودان في القسمين الخامس والسادس والسيد ليسكا أستاذ العربيّة والسيد موريال. وكان من بينهم السيد كوليار وهو أستاذ في الفرنسيّة كسبنا منه الشيء الكثير ولم ار له مثيلا حتّى أنّي اعتقد أنّ معرفتي باللغة الفرنسيّة لم تزد لا في الليسي كارنو ولا في الجامعة بباريس عما لقنني إيّاه ذلك الأستاذ المقتدر صاحب الطريقة العجيبة، وإليه يرجع الفضل فيما أنا عليه الآن من سهولة التحرير باللغة الفرنسيّة وكان الأستاذ كوليار معتزّا بمعرفته للشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هيقو حتّى أنّه كان يفتخر ملوحا بيده قائلا : هذه اليد صافحت فيكتور هيقو! أمّا دروس العربية على يد الأساتذة الفرنسيين فلم تكن منتظمة بسبب الحرب العالميّة الأولى ومشاركة عدد كبير من المدرسيين فيها حتّى أنّ المدرس كان يتخلف أحيانا عن الدرس فتقرر إدارة المدرسة أن نقضي الوقت في المراجعة التي كثيرا ما تنقلب إلى لهو وغناء تونسي من طرف المرحوم محمد بدرة أو مصري من طرف المرحوم الأمين بن عبد الله.

محمد لصرم لقننا العربيّة الفصحى

ويرجع الفضل إلى السيد محمد الأصرم في تمريننا على اللغة العربيّة الفصحى وهو من جيل المرحوم علي باش حانبة. وكثيرا ما كان يردد علينا أنّ اللغة التي نسمعها أو نقرأها في الصحافة المصريّة ليست هي اللغة العربيّة الأصيلة، كان يحرضنا على حذق اللغة العربيّة عن طريق الشعراء والكتّاب القدمى لا الجدد من الكتّاب ولو كان طه حسين وقد تمكنا بفضل السيد محمد الأصرم من القدرة على التحرير باللغة العربيّة وكانت الترجمة هي المادة السائدة في برامج التعليم،فهناك

الترجمة الإدارية والأدبية وغيرهما. وذلك استجابة للوضع الإداري القائم في البلاد.

المرض حال دون إنهائي التعلم بالصادقيّة

تلك إذن هي فترة الدراسة في الصادقيّة ثمّ انتقلت إلى السنة السادسة وفي تلك المدة كنت على أهبة اجتياز شهادة البروفي العربي وأحرزت عليه بعد اجتياز امتحانين حتّى جاء عام 1919 وهو العام الأخير قبل الاحراز على الدبلوم النهائي وفي تلك السنة بالذات أصبت بمرض في الصدر نتيجة سوء التغذية والإرهاق والخصاصة. وأتذكر أنّ مدير الصادقيّة موسيو يولون كان يقتصر كثيرا في نفقات الأكل بالمعهد حتّى يوفّر أكبر قدر من المال ليشتري به سندات لتمويل الخزينة الفرنسيّة ولم يقتصر هذا التضييق على خصوص الطعام بل تجاوزه إلى اللباس وفي تلك الظروف، أصبت بمرض يشبه داء السل، وقد أشير عليّ بتغيير نظام التغذية، لكن قلة ذات اليد حالت دون ذلك. فأقمت في المستشفى مدة شهر ثمّ أشير عليّ بالإقامة في منطقة يتوفر فيها الهواء النقي، وفي ذلك الوقت كان أخي محمد، وهو أكبر إخوتي سنا، يعمل في الكاف كمعاون طبي. واضطررت إلى الانقطاع عن الدروس عند بداية السنة الدراسيّة السادسة بسبب المرض الذي ألمّ بي وانتقلت إلى الكاف دون أن أتحصل على ديبلوم الصادقيّة، ثمّ تحسّنت حالتي الصحيّة بفضل ما تلقيته من معالجة ملائمة في المستشفى، وكان أخي محمد يحظى بسمعة كبيرة في الكاف.

وعدت إلى تونس وقد نسيت أن أذكر لكم أنّ أخي محمود رحمه الله كان يزاول تعلمه كمقيم في المدرسة الصادقيّة عندما أحرزت في سنة 1913 على الشهادة الابتدائيّة.

وكان هو يقيم في الصادقيّة حيث كان يزاول دراسته في القسم الثاني، وكان يأتي لزيارتي يومي الجمعة والأحد في منزل أخي بتربة الباي ويراقب مدى اعتنائي بالدروس، لكنّه كان يقوم بهذا العمل بقساوة عادة تكون وحشية، فيعمد إلى ضربي ضربا مبرحا رغم صغر سنّي إذ لم أكن أتجاوز في ذلك العهد سن العاشرة وأصبحت أخشاه وأجزع منه وكانت المرأة المكلفة بطهي الطعام في المنزل، تعهد إلى فتح النوافذ والاستنجاد بالمارة كلما اشتدّت عليّ وطأة الضرب على أمل انقاذي مما كنت أقاسيه، إنّ سلوك أخي هذا تجاهي كان على درجة كبيرة من الفضاعة، ورغم ذلك احتفظت بصورته في مكتبي إلى جانب صور المجاهدين وسأذكر لكم أسباب ذلك.

المؤسسة التربوية بمديرها وعلى مديرها

المدير الراحل منجي الدامرجي نموذجا

بقلم : المنجي الدريدي
أستاذ سابق بمعهد باب الخضراء تونس

تنشر المجلّة الصادقيّة هذه الشهادة التي ركّزها صاحبها على دور المربّي المغفور له منجي الدامرجي مسيّرا في الميدان التربوي والمرحوم كان قدوة في هذا الميدان؛ على أنّ منجي الدامرجي كان قبل هذا من خرّيجي المدرسة الصّادقيّة ثمّ أستاذا بها.

-المجلة-

من المؤسسات التربويّة الشامخة في ربوع الحاضرة معهد باب الخضراء ، تلك المنارة التي أشعّت منذ نشأتها بصواب الأداء وحسن النتائج وحزم أسرتها التربويّة وتفانيها في خدمة النشء تحت قيادة رجل كان له ما كان في إرسائها على دعائم صحيحة. واليوم وقد مرّ على رحيله ما يربو على ثلاث سنوات بعد أن خلّف في نفوس الجميع اللوعة والأسى، أليس من المفيد أن نحدث عن مسيرته الإداريّة ونبرز مناقبه التربويّة حتّى يبقى القدوة والمثال والمرجع؟

الأستاذ منجي الدامرجي

I – على رأس المعهد المختلط بالقيروان :

إنّ السيّد الدامرجي قد ترعرع في أسرة نيّرة، زاول دراسته الابتدائيّة والثانويّة بالمعهد الصادقي قبل أن يلتحق بجامعة بوردو الفرنسيّة حيث أعدّ إجازة في التّاريخ ومنها عاد إلى ارض الوطن ليمارس التدريس وقد تشبّع طيلة حياته بما شبّ عليه زمن التمدرس الصادقي من تقيّد بالجِدِّ والانضباط وظلّ معجبا بأستاذه المرحوم عبد الوهاب بكير مستفيدا من منهج تعليمه شكلا ومضمونا.

ولم يلبث طويلا حتّى عيّن على راس المعهد المختلط بالقيروان المحدث بعيد الاستقلال، وقد أبرزت التجربة الإداريّة الأولى في قيادة هذه المؤسسة الخصال المهنيّة للرجل، والحنكة في تدبير الشؤون ودونك ما يردده القدماء وما بقي عالقا بالأذهان لتدرك مميّزات هذه الشخصيّة الرائدة وقد سعينا إلى استحضار صورة من نشاطه وعمله الميداني لعلها كانت أساس النجاح في مهمته. وإنّك لتجده بكرة بأرجاء المعهد، مرتديا هندامه الأنيق، مرفوع القامة، ممسكا غليونه بفمه وكلّه هيبة ووقار وسرعان ما يتجه نحو المطبخ، فقاعات المراجعة متفقدا أحوال المقيمين مطمئنا على راحتهم وعملهم وصحتهم. وما أن يحين وقت دخول التلاميذ الخارجيين وقف يستقبلهم، يعاين مظهرهم، موجها مرّة، مقوّما مرّة أخرى، مؤدّبا كلّما لاحظ تسيبا أو إهمالا، منتقيا البعض للتعرف على ظروفهم الماديّة والسّعي إلى مساعدتهم فيتخطّى كلّ ذي حاجة ما له من صعوبات ويندمج ويتفرّغ إلى العمل بكلّ اجتهاد وراحة نفس.

ومن مبادراته الجريئة يومئذ، وهو في مدينة محافظة، إقدامه على فكّ التفرقة بين الجنسين إيمانا منه بأنّ الاستقلال جاء ليكرّس التقارب والتآلف والاختلاط والتفتّح فأبطل تخصيص ساحة للفتيات وأخرى للفتيان، وأقساما لهنّ ومثلها لهم ودافع على هذا التّمشيّ بكلّ شجاعة وثبات. ومن اقتداره على تجاوز كلّ فراغ بيداغوجي إقباله على تحمّل مسؤوليّة تدريس مادّة علم النّفس التربوي بشعبة ترشيح المعلّمين التي أحدثت صلب المعهد، فقد تحمّل العبء وتجهّز وتطوّع لسدّ الشّغور معتمدا على تكوينه العلمي والمعرفي المتنوع. وفي جانب آخر، فقد اهتمّ بتنشيط الحياة المدرسيّة، والنهوض ببعث النوادي من رسم ومسرح ورحلات...

ففي عهده، تألقت الفرقة الموسيقيّة بعازفيها وكورالها ونظيراتها الرياضيّة بحصد الكؤوس على المستويين الجهوي والوطني والفرقة المسرحيّة بمشاركتها على الصّعيد المدرسي، وإذ يستحسن من المدير أن يكون مشعّا في الوسط المدني الذي بعثت فيه مؤسّسته،

فإنّ السيّد الدامرجي قد هبّ إلى الاندماج في الأوساط القيروانيّة، مساهما في الحياة العامّة، مختلفا إلى مجالس رجال الثّقافة وأصحاب الحل والعقد عملا بمبدإ تفتّح المدرسة على المحيط.

II – على رأس معهد باب الخضراء بالعاصمة :

ثمّ نقل إلى معهد باب الخضراء بالعاصمة وهو مازال في طور التشييد والبناء، وشرع في عمله مستخدما المدرسة الابتدائيّة المتاخمة وظلّ في ذات الوقت يتابع تقدّم الأشغال والهيكل بالتعاون مع المهندس المعماري، مبديا رأيه في حسن توظيف الفضاءات بيداغوجيّا.

وعلى هذا النّسق ، رافق تقدّم الصّرح إلى أن أصبح جاهزا، وبنفس الرّوح التي باشر بها بالقيروان، أمسك بمقاليد الأمور.وعلى مدى 23 سنة، استطاع أن ينشّط فريقا من المساعدين بمختلف درجاتهم واهتدى الجميع إلى استيعاب خصوصيّات الوسط الاجتماعي الذي تنتمي إليه المؤسّسة والعمل على تمرير قواعد النظام وإيناس المتعلّمين بالانضباط والالتزام باحترام كل الساهرين على تربيتهم وتنشئتهم والانكباب على الكسب والتحصيل بعد أن أمّنت له الإدارة مقومات الحياة المدرسيّة الناجعة وأسباب النجاح في الدّراسة.

ودونك هذه الكلمة المقتضبة والمقتطفة من شهادة أحد مساعديه يومئذ لتدرك قوة شخصيّة صاحبنا والانطباع الذي تركه في نفوس من عمل معه، أسوق منها ما يلي : «السيد الدامرجي أسلوب خاص في التّعامل مع مكونات مؤسّسته التربويّة، وقدرة كبيرة على التسيير، فالجميع يحرصون كلّ في موقعه على أداء الواجب دون تقصير خشية المساءلة وهو في ذات الوقت الأب والأخ والرّئيس المباشر يجمع في ازدواج بين التربية والتسيير. قد كانت له هيبة يضفيها على معاونيه دونما ضغط، وكان رحمه الله موضوع احترام وتقدير، متمكنا من مهنته، واثقا من نفسه، معتزّا بعمله فخورا بعمله».

تحيّة احترام وتقدير وإكبار إلى روح الفقيد المربّي الفاضل منجي الدامرجي، شيخي الذي مازلت مدينا له بالكثير في حياتي المهنيّة والمدنيّة، أدّى الرسالة وحافظ على الأمانة التربويّة كأحسن ما يكون، وإنّه لجدير بأن يطلق اسمه على المؤسّسة التي عمل على ازدهارها فما أكثر ما أعطى وما اقلّ ما أخذ.

سيبقى في الذّاكرة وتذكره الأيّام، رحمه الله رحمة واسعة

هـو الموت فاختره ما علا لك ذكـره * فلم يمت الإنسـان ما حيي الذّكـر**

الأستاذ البشير العريبي(*)

2018/05/10 - 1923 / 25/11

بقلم: الأستاذ علي حمريت

قول مثل إفريقيّ: « إذا تُوفّي لنا شيخ فإنّ مكتبة قد احترقت ». وهذا المثل ينطبق على الأستاذ الشيخ البشير العريبي كغيره ممّن فقدنا من رجال التّربية الأفذاذ الذين أعطوا الكثير وكوّنوا أجيالا من شباب تونس، تُباهي بهم الأمم، علمًا وخلقا وسلوكًا ومنزلة في المجتمع.

عاش الأستاذ البشير العريبي عمرًا مليئًا بالنّشاط وطلب العلم والبحث والعطاء وبثّ الكلمة الطّيّبة على مختلف المنابر وفي شتّى الحلقات والأندية، خارج تونس وداخلها. وكان مُبجّلاً ، مرموقا، يحظى بالتّقدير والمنزلة الرّفيعة، عالمًا في اختصاصه وآخذا من كلّ علم بطرف، ديدنه نفع الشّباب والحَدْب الدائم على مستقبله ودعم مسيرته بالعلم والجدّ في طلبه. لذا فهو من النّاشطين في كلّ جمعيّة أو منظّمة تضمّ النّاشئين وتسهر على تكوينهم وتلقينهم كلّ ما يوفّر لهم سبل النّجاح في الحياة.

(*) مداخلة التأبين التي ألقاها الأستاذ علي حمريت في أربعينية الفقيد يوم 29/06/2018

- النشأة والدّراسة :

ولد البشير العريبي في 15 ربيع الاوّل لسنة 1342 للهجرة (25 نوفمبر 1923) بتونس العاصمة، بنهج الحقيقة من حي باب سويقة.

وزاول تعلّمه بالمدرسة القرآنيّة بنهج المرّ. ثمّ نُقل إلى المدرسة الابتدائيّة بنهج دار الجلد من سنة 1930 إلى سنة 1937.

ودخل جامع الزيتونة في سنة 1939، ونجح في شهادة الأهليّة سنة 1946 كما نجح في شهادة العالميّة سنة 1948. وفي الأثناء ، درس في مدرسة الحقوق التونسيّة مدّة سنتين (1946 – 1948) . وكانت مرحلة طلب العلم ثريّة ومتنوّعة المشارب لدى الطالب البشير العريبي، إذ كان مبدأه "الأخذ من كلّ علم بطرف"، وكان يسعى جهده في الحصول على تكوين موسوعيّ. فتلقّى دروسا في شتّى الاختصاصات. تلقّى دروسا في حفظ الصحّة على الدكتور أحمد بن ميلاد ودروسا في الخطّ العربيّ على الأستاذ محمد صالح الخمّاسي وأصبح من الحاذقين فيه، ودروسا ليليّة بالخلدونيّة في التّاريخ والجغرافيا واللّغة العربيّة والثّقافة العامّة، ودروسا في القراءات بجامع الحفصي

بالقصبة، ودروسا في المحاسبة ومسك دفاتر الماليّة على يد خبير بنك التعاضد المالي محمّد الفارح، ودروسا في المحاسبة والتّجارة بنهج شارل ديغول بالعاصمة.

- الحياة العمليّة :

- التعليم بالفرع الزيتوني بالقيروان

مكّننا الأستاذ إبراهيم شبّوح مشكورا، من بعض المعلومات الدّقيقة مسجّلة في دفاتر الفرع الزّيتوني بالقيروان تقدّم لنا توضيحات موجزة ومسجّلة عن التّعيين الأوّل في التّدريس للشيخ الأستاذ البشير بن الحاج محمد بن حميدة العريبي، بالفرع الزيتوني بالقيروان في 14 فيفري 1948، وذلك بعد نجاحه في مناظرة المكرّرين. كما نعثر على ترخيص له بالتفرّغ والتخلّف عن التدريس للاشتغال بتحضير شهادة العالميّة وكذلك القرار بنقلته نهائيّا من القيروان إلى تونس في 16 جانفي 1949.

ولزيادة التّوضيح لمسيرة الأستاذ الشيخ البشير العريبي في خطاه الأولى في التّدريس نورد نصوص القرارات الصادرة عن إدارة مشيخة جامع الزيتونة في هذا الشّأن.

1 – مضمّن 39 ص 47:

14 فيفري 1948: ورود مكتوب من شيخ الجامع الأعظم وفروعه عدد 4930، مؤرّخ في 11 فيفري 1948 يتضمّن الإعلام بتعيين المشائخ:

- أحمد بن علي بن محمّد الشّعار،
- الهادي بن محمّد حمّو الغربي،
- الهادي بن محمد بن أحمد زمزم،
- البشير بن الحاج محمد بن حميدة العريبي،

النّاجحين في مناظرة المكرّرين الثلاثة، الاوّل في العلوم والرّابع في الريّاضيات،بفرع القيروان، وطلب تعيين لكلّ واحد منهم ثماني عشرة ساعة في الأسبوع، مع التفويض للشيخ المدير في كيفيّة انتزاعها من الشّيوخ المكلّفين بالتّعليم حسبما يراه صالحا إمّا

بالتّنقيص أو الاستغناء عن بعض المكلّفين وتعريف المشيخة بكيفيّة إتمام ذلك.

2 – مضمّن 40 ص 169

مكتوب من الإدارة إلى المشيخة للإعلام بأنّه في 17 فيفري 1948 حضر المكرّرون زمزم والعريبي والشعّار، وعيّنت لهم الدّروس وباشروا عملهم.

3 – مضمّن عدد 66 ص 53:

ورود مراسلة بتاريخ 3 ماي 1948 من شيخ الجامع الأعظم وفروعه عدد 5201، مؤرّخ في 29 أفريل 1948 للإعلام بالتّرخيص للشّيخ البشير العريبي في مباشرة دروس العالميّة بالحاضرة، والتّحضير لها ، وإقامة من يقوم مقامه في دروسه والتزامه بدفع جرايةٍ له على حسابه الخاص وموافقة الشيخ المدير على ذلك.

4 – مضمّن 97 ص 60 :

مكتوب من شيخ الجامع عدد 5686 مؤرّخ في 26 أكتوبر 1948 للإعلام بالتّرخيص للشيّخ البشير العريبي في التخلّف عن الإقراء بالفرع لاشتغاله بامتحان شهادة العالميّة وطلب إقامة من ينوبه من المدرّسين بحساب الساعات الزّائدة ويدفع له من حسابه الخاصّ.

5 – مضمّن 126ص 67:

مكتوب عدد 5941 بتاريخ 16 جانفي 1949، يعلم جنابه بأنّه قرّر نقلة الشيخين الهادي زمزم والبشير العريبي من فرع القيروان إلى الحاضرة. وصحبة هذا مكتوبان لهما في ذلك الغرض وتعيين الشيخين صالح البحري وعبد العزيز بو رعّوشة مكانهما وموعد مباشرتهما يوم 25 جانفي الجاري.

6 – مضمّن 130 ص 48 :

مكتوب من شيخ الجامع الأعظم وفروعه عدد 6004 وأرّخ في 31 جانفي 1949، يتضمّن الإعلام بمكتوب مدير الفرع عدد 130 مؤرّخ في 25 جانفي الجاري في شأن

عدم قبول الشيخ عبد العزيز بو رعوشة للدّروس المعيّنة له في الريّاضيّات ومكتوب من الشيّخ المذكور في الغرض المذكور. وطلب إعلامه أنّ المشيخة تؤكّد عليه في قبول ما يعيّن له من الدّروس لما له من النّباهة ونجاحه في العلوم لا ينافي أنّه يُحسن إقراء الرياضيّات كغيره ممّن يُقرئها من أصحاب الشّهادات العلميّة لأنّ عدد النّاجحين في مناظرة الريّاضيات غير كاف... على أنّه قد أقرأ في السّنة الماضية العلوم الرياضيّة، والتّعريف بذلك مع المبادرة.

- النقلة من القيروان إلى تونس : 16 جانفي 1949.

إلى جانب تدريسه بجامع الزيتونة، كانت للأستاذ الشيخ البشير العريبي حياة طافحة بالنّشاط، وكانت غايته نفع النّاس جميعا وخاصّة الشّباب منهم. ونذكر بعضا من هذه الأنشطة إلى جانب أوقات التدريس :

- إلقاء دروس في الحساب والخطّ العربي بطلب من أستاذه محمد صالح الخمّاسي، يقدّمها بفرع جامع صاحب الطّابع، بإشراف محمد المطيبع المختصّ في فنون الخط وعلم الهيئة والميقات من مصر.

- شارك في مناظرة انتداب مدرّسين في العلوم الحديثة والإشراف على متابعة تكوينهم في التّاريخ والجغرافيا والحساب.

- وانتمى إلى جمعيّة الشبّان المسلمين بإدارة الشيخ محمد الصالح النيفر.

- درّس في المؤسّسة الوطنيّة لمحو الأميّة بالمعهد العلوي ومدرسة القيطوني بالحلفاوين.

- درّس بجامع القصر الإملاءات القرآنيّة

- ساهم في تأليف كتاب « التّعليم الزّيتوني ووسائل إصلاحه» مع الأستاذين العروسي المطوي والهادي حمّو.

- نشر مع محمد لخوة كتاب: «التّعليم الذي نريد».

- له مشاركات عديدة في مقالات ثقافيّة بجريدة الصباح والنّدوة مع محمد العروسي المطوي.

- الفكر: انضمّ إلى مجلسها لاختيار ما ينشر على صفحاتها وله عديد المقالات

والمساهمات الشعريّة بها.

- له مشاركة في مجلّة الشبّان المسلمين ومجلة جوهر الإسلام مع الحبيب المستاوي.

- المجلّة الصّادقيّة :

*** العدد 10 ص 21 : في ذكرى الشيخ الإمام محمد الخضر حسين (1873 - 1958) دراسة حول شعر الخضر**

*** العدد 13 ص 10 : في ذكرى محمد الشّاذلي النيفر « قصيدة في الرّثاء»**

*** العدد 28 ص 41 : مع حشّاد : ذكريات ومواقف معه**

*** العدد 30 ص 9: في أربعينيّة الأستاذ حمّادي السّاحلي (مرثيّة بخطّه)**

*** العدد 42 ص 69: يوم العلم - بمناسبة مائويّة القدماء (بخطّه)**

معارضة علي الحصري القيروان : "يوم سنظلّ نردّده"

*** العدد 43 ص 59 : في تأبين الأستاذ محمد الحبيب زغندة - قصيدة ألقيت بدار المربّي في 17 جوان 2006.**

*** العدد 44 ص 8 : قصيدة الصّادقيّة والقدماء (بخطّه) رمضان 1427هـ/أكتوبر 2006.**

*** العدد 56 ص 34: في اربعينيّة الأستاذ الهاشمي زين العابدين: قصيدة بمقرّ جمعيّة القدماء 19 محرّم 1430/16 جانفي 2009.**

- كتيّب لنصّ محاضرة قدّمها في ليلة القدر (27 رمضان 1967) بحضور الرّئيس الحبيب بورقيبة، بجامع الزيتونة: بعنوان: «إشعاع الحضارة الإسلاميّة».

- المشاركة في كتاب التّربية الإسلاميّة «التجديد والاجتهاد» تحت إشراف الشيخ المختار السلاّمي.

- للأستاذ البشير العريبي مشاركات شعريّة كثيرة من أهمّها النّشيد الرّسمي اللّيبي الحالي بتلحين محمد عبد الوهاب.

- له قبريات كثيرة كمشاهد على قبور شخصيّات علميّة وأدبيّة ضمّنها في العجز لآخر بيت، بحساب الجمل تاريخ الوفاة لكلّ فقيد ، وهي طريقة فنيّة اختصّ بها.

- رثى زوجته سنة 2005 بقصيدة مؤثّرة جدّا أبكت الحاضرين.

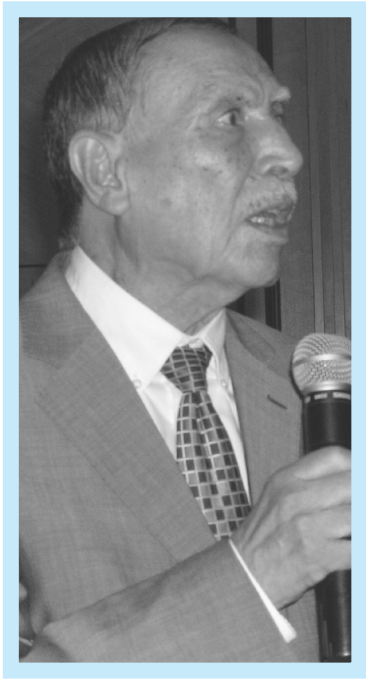

- مجلّة الهداية : انضمّ إلى إدارة الشّعائر الدينيّة بالوزارة الأولى واهتمّ بالإشراف على مجلّة الهداية وكتابة افتتاحياتها.

- بعد العودة من القيروان في 16 جانفي 1949، درّس بفرعي الزّيتونة جامع حمودة باشا وجامع القصبة.

-معهد ابن رشد بالصبّاغين: درس اللّغة العربيّة والأدب.

- مديرا لجامع القصبة من 1956 إلى 1958 (سنة إغلاقه)

- الصادقيّة : أستاذ للّغة العربيّة والتّربية الدينيّة (1958 – 1973)

- الالحاق بموريتانيا (1961 – 1962) : بالمعهد الوطنيّ للدراسات الإسلاميّة العليا بموريتانيا والسّنغال.

- الإذاعة الوطنيّة التونسيّة

للأستاذ البشير العريبي مشاركة في الإذاعة الوطنيّة التونسيّة:

- حديث الصّباح يومي الأربعاء والجمعة

- حصص بالمشاركة في مسائل دينيّة وتربويّة واجتماعيّة : «قرأتُ وسمعتُ»..

- مسامرات دينيّة رمضانيّة مع التّهامي نقرة وعبد الكريم المرّاق

- درّس الجيش الوطني بثكنة العوينة، ومركز كتّانة وبوشوشة.

- درّس في سنة 1960 بالكليّة الزيتونيّة بإدارة كلّ من الشّيخين محمد الفاضل ابن عاشور والحبيب بلخوجة

- **النّادي الأدبي أبي القاسم الشّابي بالورديّة :** كان من مؤسّسيه مع محمد العروسي المطوي سنة 1962.

- **من مؤسّسي مدرسة البنت المسلمة (اللاّفتة الرّخاميّة في واجهتها بخطّه)**

- من مؤّسسي مدرسة نادي القلم سنة 1950 بمعيّة محمد العروسي المطوي ومحمد المرزوقي.
- عضو بالنّادي الثّقافي للرّشيديّة مع محمد العربي الكبادي وزين العابدين السّنوسي ومحمود الباجي والحبيب شيبوب وحمّادي النّيفر.

- النّشاط الكشفي:

- كان عضوا فاعلا في السّلك الكشفي منذ سنة 1939.

- من مؤّسسي مدرسة نادي القلم سنة 1950 بمعيّة محمد العروسي المطوي ومحمد المرزوقي.
- عضو بالنّادي الثّقافي للرّشيديّة مع محمد العربي الكبادي وزين العابدين السّنوسي ومحمود الباجي والحبيب شيبوب وحمّادي النّيفر.

- النّشاط الكشفي:

- كان عضوا فاعلا في السّلك الكشفي منذ سنة 1939.
- وانخرط كعضو قار في سنة 1941 في جمعيّة الشّاب المسلم الكشفي والكشّاف المسلم التّونسي قصد كسر شوكة الكشّافة الفرنسيّة.
- ارتقى إلى عضو في المجلس الأعلى للكشافة التونسيّة إلى وفاته
- كان من مؤسّسي فرع الكشّافة التونسيّة سنة 1948 عند تدريسه بالفرع الزّيتوني بالقيروان بمعيّة عبد القادر الفيتوري والشّاذلي الفوراتي.

وممّن نشط في الفرع الكشفي القيرواني الإخوة الفوراتي: عامر والطاهر والحبيب وعثمان كشريد، وزير الدّاخليّة الأسبق والأخوان محمد الفيتوري، وزير الخارجيّة الأسبق والشّاذلي الفيتوري والقائد الكشّاف المناضل محمد الصّيد.

قدّم الأستاذ الهادي البكّوش لمحة عن نشأة الحركة الكشفيّة في تونس،وعن دورها في

إذكاء الحسّ الوطني لدى الشّاب التّونسي، في كتابه "بكلّ صراحة" ص 29 – 30. وكان الباعثان لهذه الحركة الكشفيّة كلّ من عز الدين عزّوز والمنجي بالي. ويذكر الأستاذ الهادي البكّوش أنّ أهمّ ما تعلّمه من هذه الحركة الكشفيّة اطّلاعه اوّلا على أهدافها ومبادئها، وخاصّة طرق تعاملها مع الشّباب في تأطيرها الوطنيّ لهم وتركيز الرّوح الوطنيّة فيما يصدر عنهم قولا وفعلا.

وكان أوّل من أسّس ببلديّة حمّام سوسة فرع الكشّاف المسلم مع ثلّة من رفاقه. ويذكر أنّ منظّمة الكشّاف التونسي المسلم بُعثت للوجود على يد من ذكرنا من القوّاد الأول لها، في مارس 1933، وقد قامت بدور فاعل في أحداث 9 أفريل 1938 إلى جانب الحزب الدستوري الجديد في مصادمته مع الاستعمار الفرنسي.

وقد لحق بالحركة الكشفيّة قانون الحظر والإيقاف.

وبتراخي السلطة الاستعماريّة إثر الحرب العالميّة الثّانية، استعادت نشاطها والتحمت صفوفها وفروعها لتكوّن "الكشّاف المسلم التّونسي" بقيادة الدّكتور سالم الشّاذلي والدكتور محمود الشّرفي. ويصرّح الأستاذ الهادي البكّوش أنّه مدين للحركة الكشفيّة في تكوينه الوطني، وقد حضر المؤتمر الذي وحّد صفوفها في منظّمة واحدة في 29 جوان 1947. وقد حضر هذا المؤتمر الأستاذ البشير العريبي الّذي كان له الفضل في تكوين فرع القيروان الكشفي مع المرحوم عبد القادر الفتوري والشّاذلي الفراتي، سنة 1948، عندما عُيّن الأستاذ البشير، شيخا مكرّرا بالفرع الزّيتوني بالقيروان. ثمّ يتطوّر النّشاط الكشفي بوحي من القائد الأعلى، المنجي بالي، لتنبعث ضمنه المجموعات السريّة الّتي سيكون لها فيما بعد دور فعليّ وحركيّ لمصادمة الاستعمار وتضييق الخناق عليه، بالتّظاهرات العلنيّة والأعمال السريّة للنّضال من أجل الاستقلال. وكان للأستاذ البشير دور تأطيريّ هامّ عبّر به عن وطنيّته وخدمة تونس في جميع أنشطته.

- المؤتمرات والنّدوات خارج تونس :

- **1958 :** شارك في مؤتمر الشباب والطلبة بموسكو صحبة محمد رشاد الباجي ومحمود بلحاج صالح وراضية بلخوجة.

- **1972 :** ندوة الشّباب المغاربي بالجزائر (مقرّر عام)
- **1980 :** مؤتمر القمّة الإسلامي بمكّة المكرّمة
- **1981 :** مؤتمر القمّة الإسلامي بسرلنكا
1986 : مؤتمر القمّة الإسلامي بباكو.

- العمل الإداري والنيابي:

- **1973 – 1986 :** إدارة الشّعائر الدينيّة (التّابعة للوزارة الأولى)

- المجلس الإسلامي الأعلى : عضو في فترتين

- **1980 – 1983 :** عضو بمجلس النّواب
2008 : وقع تكريمه بالمركز الثّقافي الدّولي بالحمّامات

- مؤلّف النّشيد الوطني اللّيبي حاليّا (من تلحين الموسيقار المصري محمد عبد الوهاب)

رحم الله الأستاذ البشير العريبي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه

صورة الأستاذ البشير العريبي بالمدرسة الصادقية

أعلام غادرونا

تحية إلى روح المرحوم عدنان الزمرلي

سقط سهوا من العدد 64 للمجلة الصادقيّة (الصفحة 92) المقال المخصّص لتحيّة روح المرحوم الدكتور عدنان الزمرلي وإذ نعتذر للسادة القراء ولعائلة الفقيد عن هذا السهو، ننشر فيما يلي نص المقال.

غيّب الموت في تاريخ الأربعاء 19 جويلية 2017 الأستاذ الدكتور عدنان الزمرلي العالم والباحث في العلوم والتاريخ، وعضو أسرة «المجلة الصادقية»، والذي كانت له إسهامات ثرية ومتميزة في المجلة بمقالاته العلمية والتاريخية.

والفقيد هو أول عميد تونسي لكلية العلوم بتونس وأول تونسي متحصّل على دكتوراه دولة في العلوم الفيزيائية وسفير سابق لتونس لدى اليونسكو.

وُلد الفقيد في ضاحية سيدي بوسعيد وأتمّ تعليمه بمعهد كارنو (المعهد النموذجي الحبيب بورقيبة حاليا). ثمّ واصل دراسته العليا بالصربون بباريس حيث تحصّل على دكتوراه الدولة في العلوم الفيزيائية في سنة 1958.

وبعد أن بدأ أعماله البحثية في المركز الوطني للبحث العلمي بباريس، ثمّ في جامعة «دوك Duke» بكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية، التحق الفقيد بكلية العلوم بتونس حيث شغل خطّة أستاذ- باحث (أستاذ مُحاضر ثمّ أستاذ تعليم عال) ومدير قسم الفيزياء وعميد للكلية.

وفي سنة 1996 تحصّل على وسام الفرنكوفونية الأكبر من الأكاديمية الفرنسية لأعماله العلمية العديدة.

رحم الله الأستاذ الدكتور عدنان الزمرلي ورزق أهله وذويه جميل الصبر وجازاه خيرا لما قدّمه من جليل الأعمال في ميدان العلم والمعرفة.

محمد الفاضل الدّرويش

تحية إلى روح المرحوم محمد بن اسماعيل

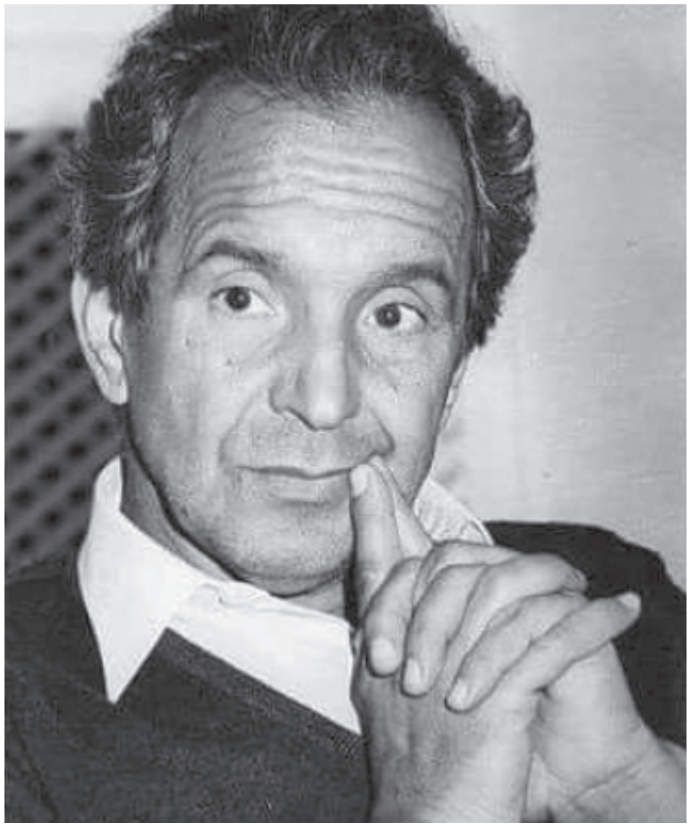

صورة محمد بن اسماعيل

كما غادرنا احد الصادقين من قدماء الصادقية المرحوم محمد بن اسماعيل الذي نشر كتاب « sadiki et sadikiens »

تقديم كتاب:

المدرسة الفقهيّة المالكيّة بتونس وتطوّرها من القرن الرابع إلى القرن السادس هجري[1](*) للأستاذ محمد العزيز السّاحلي

بقلم: فتحي المحجوبي

يعدّ هذا الكتاب تعزيزا لا بأس به للمكتبة التونسيّة في اختصاص التحقيق والترجمة، للأستاذ الشيخ محمد العزيز السّاحلي نجل أستاذنا الألمعي المرحوم حمّادي السّاحلي الذي ضرب بسهم كبير في مجال الكتابة التاريخيّة والتحقيق والترجمة. وهو يسير على خطى والده في الإنتاج الفكري الغزير، ولا شكّ أنّه تعلّم منه الكثير. بدليل أنّه ذكر في إهداء الكتاب إلى والديه المنعمين المبرورين أنّه يدين لأبيه أنّه حبّب إليه المعرفة وأهلها وكان له خير دليل وأنيس ورفيق في الطريق

الكتاب الذي بين يدينا عنوانه "المدرسة الفقهيّة المالكيّة بتونس وتطوّرها من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري"، وهو المؤلّف العاشر في سلسلة إصدارات المحتفى به اليوم..

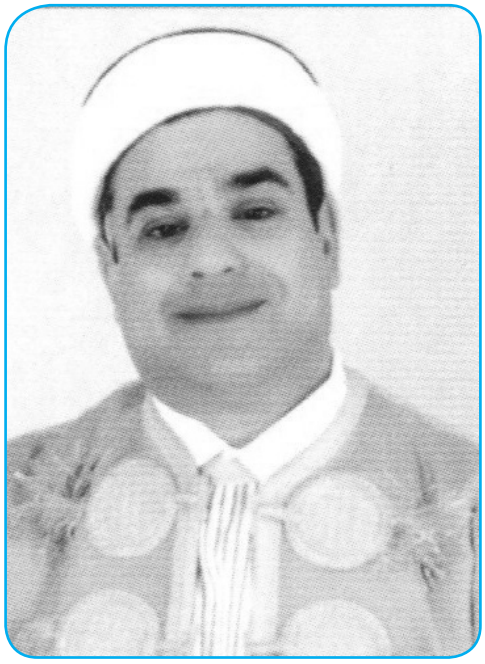

محمد العزيز السّاحلي

(1) (*) وقع تقديم هذا الكتاب بتنظيم من جمعيّة قدماء الصادقيّة في اطار أنشطتها الثقافيّة بمقرّ الجمعيّة الخلدونيّة يوم الجمعة 17 نوفمبر 2017، وقد تولّى التقديم الأستاذ فتحي المحجوبي.

مداخلتي ستنقسم إلى ثلاثة اهتمامات:
1) الكتاب من حيث الشكل والتوثيق
2) محتوى الكتاب
3) القيمة المعرفيّة للكتاب

1) أمّا الكتاب من حيث الشّكل :

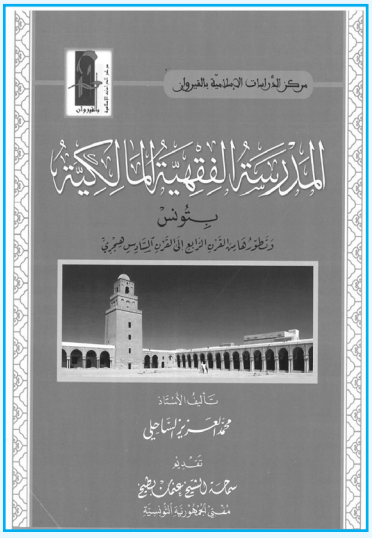

- متوسط الحجم

- يحتوي على 128 صفحة

- تولّى طبعه مركز الدراسات الإسلاميّة بالقيروان

- وتولّى نشره دار سحنون للنشر والتوزيع (1438هـ/2017م)

- وفيه بعد الإهداء مقدّمة لسماحة الدكتور الشيخ عثمان بطّيخ مفتي الجمهوريّة التونسيّة

- الكتاب موشّح ببعض الصور التذكاريّة : صورة رفقة والده بجبل عرفة

صورة رفقة أستاذه سماحة المفتي

صورة رفقة جمع من المشائخ

صورة شخصيّة للمؤلّف

- لم ألاحظ عند القراءة الأولى أو الثانية وجود أخطاء في الطباعة أو تداخل في محتوى الصفحات أو أي تقصير على متابعة عمله وإخراجه في أحسن الوجوه وأتمّها.

- الكتاب مقسّم إلى اربعة أبواب:

* تتفرّع عنه فصول بين فصلين إلي أربعة.

* وينتهي بالخاتمة ثمّ ملحق حول الاجتهاد وقضايا العصر من خلال فتاوى مشائخنا الأعلام: كالأستاذ الإمام العلاّمة محمد الطاهر ابن عاشور وفضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر وفضيلة الشيخ محمد الحبيب بن

الخوجة رحمهم الله.

* ثمّ تأتي فهرسة الآيات وفهرسة الأحاديث وفهرسة الأعلام وفهرسة الأماكن والبلدان وفهرسة المواضيع.

* وفي مسك الختام ترجمة موجزة للكتاب ومؤلّفاته.

2) الكتاب من حيث المحتوى :

- في مقدمة الكتاب أو ما سمّاه المؤلّف بالتمهيد، وضع الإطار التاريخي الذي تتحرّك في سياقه المعلومات والأخبار، وهو العصر الصنهاجي بين سنة 361هـ/972م إلى سنة 555هـ/1160م، وهو التاريخ الذي استولى فيه عبد المؤمن بن علي على دول المغرب الإسلامي ومنها إفريقيّة.

- أمّا سبب هذا الاختيار في زمانه ومكانه، فلأنّه المجال التاريخي الجغرافي الحيوي الذي ترسّخت فيه المدرسة المالكيّة التونسيّة بعد انقراض الدولة الفاطميّة وظهور الدولة الصنهاجيّة بمآثرها الكبيرة.

- وصنهاجة لم تكن مجرّد قبيلة، بل كانت شعبا عظيما، لا يكاد يخلو قطر من أقطار المغرب من أفراده وجماعاته، ممّا دفع ابن خلدون إلى القول بأنّهم يمثّلون ثلث البربر. وقد سكنت صنهاجة في مساحات شاسعة امتدت من نول لمطة في جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان بإفريقيّة، واستمرّت من 973م إلى 1148م.

- وشهدت الناحية الفكريّة في هذا العهد ازدهارا كبيرا وتطوّرا ملحوظا، وبخاصة في مدينة القيروان التي أصبحت في طليعة العواصم الإسلاميّة ذات الأثر في تاريخ الفكر الإسلامي، وشهدت مساجد المغرب المناظرات الفقهيّة والكلاميّة بين الشيعة والمالكيين من أهل السنّة.

- وصمد علماء المذهب المالكي وفقهاؤه رغم ما لاقوه من سجن وتعذيب على ايدي الشيعة الفاطميين إلى أن أصبح المذهب الرسمي لتونس منذ ذلك الوقت.

- ولهذا الاعتبار التاريخي المهمّ لم ينس الأستاذ محمد العزيز السّاحلي أن يبدأ بما يجب منهجيّا الابتداء به وهو التأريخ للحياة السياسية والفكريّة والدينيّة والأدبيّة من بلكين بن زيري المؤسّس للدولة الصنهاجيّة إلى بداية أفول الدولة بدء من ولاية تميم بن المعز إلى يحيى بن المعز إلى علي بن يحيى إلى أن استولى النرمان على المهديّة سنة 1148م.

- لن أنقل لكم التفاصيل فمجاله الاطلاع على الكتاب، ولكن ما تجدر ملاحظته أنّ المؤلّف نهج الاختصار أسلوبا في التعاطي مع أهمّ الأحداث التاريخيّة التي يمكن أن تفيد إذا وصل إلى الحديث عن المدرسة المالكيّة بتونس لأنّها جوهر الموضوع. وحسنا فعل أنّه لم يسقط في الإسهاب ولم يخترق بنا آفاقا مضلّلة.

- وبيّن الكتاب أهميّة التعاطي مع الأفكار المنغلقة والمذاهب المتشدّدة ومنها فرق كثيرة في الشيعة بروح «المقاومة» بما تعنيه من قوّة التصدّي لأنّ التشدّد حالة نفسيّة مرهقة تضرّ بالأفراد والمجتمعات، وفي بعض الأمراض النفسيّة العويصة أو حالة من الغيبوبة الطويلة ما يستدعي التعامل معها بالصدمة الكهربائيّة. ما أحوجنا اليوم إلى أن نستنسخ ذخائر الفكر الديني الزيتوني المستنير لنقاوم به الإرهاب الفكري ونوجه التأثير السيء له وسط الشباب ونحمي أطفالنا من غائلته المشؤومة.

- وقد تزعّم المقاومة الفكريّة في عهد الدولة الفاطميّة رجال أفذاذ صدقوا ما عاهدوا عليه منهم:

* أبو بكر بن اللباد مفتي المغرب في زمانه وعالم إفريقيّة وصاحب التصنيفات الكثيرة منها كتاب في "فضائل مالك ابن أنس" وكتاب «الحجّة» وكتاب "الآثار والفوائد".....

* وأبو عثمان الحداد القيرواني شيخ المالكيّة وصاحب الإمام سحنون وكان من فرسان مدرسة الرأي يذمّ التقليد ويقول عنه أنّه من نقص العقول ودناءة الهمم. ومؤلّفاته كثيرة لعلّ أشهرها "توضيح المشكل في القرآن" و "المقالات في الأصول" و «الاستيعاب».

* ومنهم أيضا محرز بن خلف الصدّيقي وملحمته المعروفة في مقاومة ظلم العبيديين وحماية اليهود، وابن خالته عبد الله ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة وغيرهم كثير.

- وأهمّ ثلاث ملاحظات – في تقديري – ساقها الكتاب وهو يحدّثنا عن أسباب انتصار أهل السنّة في مواجهة التشيّع:

* التحام عموم الشّعب بعلمائه، ويذكر على سبيل المثال أنّ الحسن الجواهري العلاّمة الفقيه كان يحضر دروسه في جامع عقبة جمع غفير من النّاس رجالا ونساء.

* ما وقع من التحالف الحقيقي بين الفقهاء المالكيين وبين الأباضيين وكذلك المتصوّفة على جبهة واحدة رغم الاختلافات والتناقضات، وهو عامل مهم في ترسيخ المذهب المالكي بتونس، رغم الانتقام الذي حصل بغزوة بني هلال التي أتت على الأخضر واليابس ولكنّه لن يفت في عضد العلماء عن مواصلة تعليم الفقه المالكي وتأصيله التأصيل الصحيح والدائم.

* ما حصل من القطيعة السياسية والمذهبيّة بعد أن ارتحل بنو عبيد من تونس واستقرّوا بالقاهرة المعزيّة. وعند ابن شرف القيرواني أنّ القطيعة استوفت كلّ مظاهرها سنة 1047م لمّا أمر المعزّ الصنهاجي بإحراق أعلام بني عبيد كما فعل بنو أميّة في الاندلس وبنو حمّاد في المغرب الأوسط، فتهيّأ بذلك المجال فسيحا للمذهب المالكي ليتجذّر في أوساط العامّة والخاصّة. وهذه رحمة من رحمات الله عزّ وجلّ أنّ هذا البلد لم ينقسم إلى مذاهب متنافرة وملل متناحرة، وحافظ على صفائه المادي والمعنوي.

- الباب الرابع من الكتاب : هو باب خاص بالترجمة لأهمّ علماء المذهب المالكي في تاريخ تونس منذ العصر

الأغلبي. وقد ترجم لثلاث أهمّ شخصيّات علميّة مالكيّة:

* **عبد الله بن أبي زيد القيرواني (تـ922م):** تلميذ ابن اللباد وأبي سعيد الحداد وقد تميّز بتفريع الفقه المالكي وتحقيقه نائيا به عن الجدليات والعصبيات، وقد بذل جهدا كبيرا في جمع أقوال الإمام مالك ومن وافقه أو خالفه من تلاميذه. ولئن اشتهر ابن أبي زيد بكتابه الرسالة الذي وضعه للأطفال والمبتدئين وانتهج فيه سهولة العبارة حتّى انتشر مغربا ومشرقا، إلاّ أنّه ألّف مختصرا على المدوّنة وله كتاب النوادر والزيادات على المدوّنة وغيرها من الأمّهات، وقد كتب القاضي عياض في المدارك أنّ هذين الكتابين المعوّل في المغرب كلّه. ولابن أبي زيد مؤلّفات كثيرة منها مناسك الحج ورد السائل ...إلى غير ذلك.

ويعتبر هذا الشيخ الجليل مدرسة كبيرة في الفقه المالكي في تونس، ولا عجب أن ينادى عليه بـ "مالك الصغير"، وقد تخرّج من مدرسته علماء جهابذة منهم : أبو زكرياء الشقراطسي التوزري، وابن البراذعي، وعبد الله الهواري، وأسماء أخرى يطول عدّها. وهذا ما حدا بالمؤرّخ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب في كتابه ورقات إلى أن يقول عن الرجل: هو مدرسة محت ما قبلها وفتحت السبيل لقيام حركة فقهيّة سنيّة مالكيّة مشهودة قلّ نظيرها في العالم الإسلامي.

* **أبو الحسن علي القابسي (تـ935م):** تلميذ الأبياني وابن مسرور الدباغ. قال عنه صاحب معالم الإيمان (الدباغ): لمّا طلب للفتوى وعزم الناس عليه تأبّى وأغلق بابه دونهم، فلمّا أصرّوا قبلها مكرها، فذاع صيته وتولّى بعد وفاة ابن أبي زيد رئاسة المدرسة المالكيّة، وترك مجموعة كبيرة من المؤلّفات منها كتاب "الممهد في الفقه" يتفرّع إلى 60 جزءا، وله رسالة في الاعتقاد، ورسالة في أحكام المعلمين والمتعلّمين... ومن أشهر تلاميذه أبو عمران الفاسي وكان من كبار الفقهاء وابن شرف الشاعر القيرواني الشهير وأسماء أخرى لا نحصي لها عدا.

* **الإمام محمد المازري (تـ1061م):** تلميذ الإمام العلاّمة اللخمي وهو دفين مدينة صفاقس انتقل إليها بعد غزوة بني هلال.

وابن الصائغ العالم الفقيه الأجل دفين سوسة. صاحب شرح التلقين على القاضي عبد الوهاب البغدادي وهو شرح مستفيض نهج فيه الشيخ رحمه الله طريقة تعليميّة مبتكرة عن طريق سؤال وجواب (المنطق المنهجي كما سمّاه حسن حسني عيد الوهاب)، وتولّى فضيلة شيخنا محمد المختار السلامي تحقيقه تحقيقا ضافيا.

* ويختم الأستاذ محمد العزيز الساحلي في ملحقه حول الاجتهاد وقضايا العصر إلى التأكيد على أنّ المدرسة المالكيّة مازالت تنتج فكرا شرعيّا متميّزا معاصرا وضرب لذلك أمثله لعلمائنا الأجلاء في كيفية تناولهم لمسائل مستجدّة ممّا لم يرد على أنظار القدامى وليس له نص من القرآن أو السنّة. منها قضايا: الاستنساخ وزرع الأعضاء البشرية وطفل الأنبوب وغيرها من المسائل المهمّة.

3) القيمة المعرفيّة للكتاب :

قيمة الكتاب مرجعها في نظري إلى 3 عناصر مهمّة اهتمّ بها المؤلّف:

- **أوّلا :** التدقيق التاريخي والوقوف على أهمّ الاحداث التاريخيّة دون الإغراق في الجزئيات التي تبعدنا عن أصل الموضوع.

- **ثانيا :** لغة الكتاب : وهي ميسرة مفهومة دون عناء سواء للمختصين وغير المختصين، ممّا يجعل هذا الكتاب مرجعا للتلاميذ والطلبة والباحثين.

- **ثالثا:** المنهجيّة المتوخاة: وهي قائمة على التدرج في التواريخ، والفصل بين المراحل بشكل منظّم، مع الوقوف على ذكر أهمّ الشخصيّات التي أثّرت في المسار التاريخي إبّان تشكّل المدرسة المالكيّة في تونس وفي المغرب العربي ثمّ ترسيخها في العهد الصنهاجي واستكمال مسارها إلى يوم الناس هذا.

ملاحظة:

يعتبر هذا الكتاب لبنة نحو إنجاز مدونة تاريخيّة لكل الأسماء والكتب التي اعتنت بالمذهب المالكي ومدى تأثيرها شرقا وغربا، حتّى يقف القارئ على إسهامات الثقافة التونسيّة في تقديم الإسلام المتنور المجتهد المساير لحركة الزمان والمكان.

نتمنّى لأستاذنا العزيز مواصلة هذا الانتاج الغزير، ونظنه خير خلف لخير سلف. والشّكر الموصول لجمعيّة قدماء الصادقيّة ممثلة في شخص معالي الأستاذ فؤاد المبزّع حفظه الله للجمعيّة التونسيّة معالم ومواقع ومكتبة مدينة تونس.

حوار أدبي وفكري مع الأديب رشيد الذوادي

حاوره: العربي الزوابي

الأديب رشيد الذوادي كاتب مبدع متعدد ومتنوع الاهتمامات والمشاغل في مجال حقول التاريخ وفي النقد وفي التراجم وفي أدب الأطفال وفي الدراسات الأدبية وفي ما يحتله من دور ومكانة بارزة في إرساء الحركة الأدبية داخل تونس وخارجها ومشاركته في عديد الملتقيات والندوات الأدبية والثقافية عامّة في تونس وبما نشره من انتاجات أدبية وثقافية وفكريّة في العديد من الصحف والدوريات والمجلات التونسيّة والعربية وصدر له عدد المؤلفات والكتب تهتمّ بالدراسات الأدبية والتاريخيّة وبالتراجم وأدب الرحلة وقصص الأطفال.

في محاولة لتسليط الضوء على مراحل مسيرته و اكتشاف جوانب مضيئة من شخصيّته الأدبيّة والفكريّة كان لنا معه الحوار التالي:

في البدء لو حدثتنا عن مراحل مسيرتك الأدبية والفكرية ؟

أنا من مواليد مدينة بنزرت في 1936/3/8. 6ودرست أولا في المدرسة القرآنية في هذه المدينة وقد أسسها المربي علي الخماسي في 2 جانفي 1913 وتعد تلك المدرسة التي أرّخت لها في كتابي (أعلام من بنزرت) ثاني مدرسة قرآنية تأسّست في البلاد التونسية في عهد الاحتلال الفرنسي ثمّ زاولت تعلمي في الفرع الزيتوني ببنزرت وبعدها درست في الجامعة الزيتونية ثمّ واصلت دراستي والتحقت بمدرسة الحقوق العليا مع بدايات الاستقلال. اشتغلت بداية في التعليم ثمّ درست التاريخ في معاهد الجيش ببنزرت وعينت كمستشار ثقافي في سفارتنا بالقاهرة في الثمانينات كما عملت كخبير لدى الجامعة بتونس في وحدة البحوث والدراسات السكانيّة.

وقد واكبت كل الأنشطة الثقافية في جهتي ببنزرت وكنت من مؤسسي نادي التعليم بها ثمّ رئيسا لجمعية النهضة التمثيلية واللجنة الثقافية الجهوية بعد أن توليت رئاسة اللجنة الجهوية للتربية والأسرة لولاية بنزرت.

كما كنت متابعا للحركة الأدبية والفكرية منذ الخمسينات من مؤسسي أسرة القلم الواعي ورابطة القلم الجديد بتونس، ولي اسهامات في الدوريات والمجلات العربية والتونسية، وصدر لي عديد الكتب من أهمها:

«أدباء تونسيون» و «جماعة تحت السور» «وأعلام من بنزرت» و «رحلة في الشعر التونسي بعد الشابي» و «رواد الإصلاح » و «مشاهير القراء في الوطن العربي» و «الشابي ومدرسة أبولو» و «إشارة أدبية» و «علي البلهوان» و «وجوه من بنزرت» و «بنزرت تحكي» و «أحاديث في الأدب» و «مقاهي الادباء في الوطن العربي» و « مقاهي نجيب محفوظ في مرفإ الذاكرة» و «الرؤيا الإبداعية في أدب محمد مزالي » بالاشتراك و «الحبيب طليبة، وذاكرة وطن» و « فلسطين حكاية لن تنتهي » وسلسلة من كتب الاطفال تحمل عنوان: « عظماء بلادي » وتقع في عشرين كتابا.

لكم اهتمام خاص بالتراث والأعلام وخاصة بتراث وتاريخ بنزرت مسقط رأسك من خلال إصدار مؤلفات عنها فما هي خلاصة استنتاجاتكم حصاد نتاجكم التاريخي والبحثي؟

- اهتمامي كبير طبعا بالتراث وبأعلام العرب والتونسيين وبرجالات ولاية بنزرت تحديدا فقد نشرت ستة كتب عن منطقة بنزرت وهي: بنزرت أرض البطولات بالاشتراك مع محسن حجي و (أعلام من بنزرت) و (وجوه من بنزرت) و (بنزرت تحكي) و (الحبيب بوقطفة) و (حسن النوري) و (الحبيب طليبة) وغيرها وفي هذا الصدد فقد كتبت عديد الدراسات التي نشرت في بعض الصحف والمجلات المصرية كالأهرام ومجلة الحضارة تعنى بتراث أجيال من القصاصين التونسيين منهم علي الدعاجي ومحمد العروسي المطوي ومصطفى الفارسي والبشير بن سلامة وعز الدين المدني وعمر بن سالم وبنت البحر وغيرهم. ومن اهتمامي بالتراث فقد وظفت الجماعات الادبية في المقاهي من خلال كتابين صدرا لي كـ «جماعة تحت السور» و «مقاهي الادباء في الوطن العربي» وعن تعلقي وعشقي بالتراث فلي اهتمام أكثر بالأحياء الشعبية بالمدينة العتيقة أخص منها حي الحلفاوين الذي عملت على توظيف الكثير من شخصياته الثقافية والدينية والسياسية من خلال كتابة مقالات نشرت لي في الصحافة واستنتجت أنّ لهذا الحي تاريخا ولعب دورا مهمّا في الأحداث الثقافية والسياسية وكان قلعة صامدة في وجه الاستعمار.

رشيد الذوادي

ماذا عن علاقتك وتجربتك مع أدب الأطفال؟

- تجربتي مع أدب الأطفال هو جهد متواضع من أجل تحقيق التنوع والثراء وقناعتي أنّ الكتابة للأطفال هي مهمة جدًّا لنؤمّن نجاحات الصدق والحق وكتاباتي في هذا الشأن هي شكل من اشكال الخطاب للآخر وراهنت فيما كتبته في سلسلة (عظماء بلادي) على تخليد رجال من أجل مواقفهم الجريئة وعبرت في حكاية التاريخ

عن أصوات الجماعات التقدمية وقضايا النّاس وعمّن التزم بالحق وتحلى بالشجاعة في أعسر الاوقات.

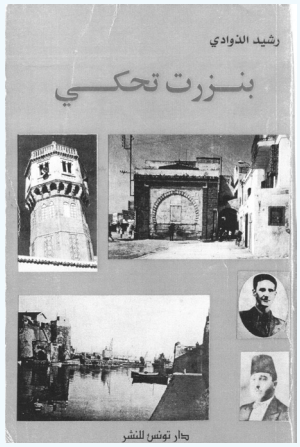

عملت مستشارا ثقافيّا في سفارة تونس بالقاهرة فماذا حققت من هذه المهمة الثقافية وماذا أضافت لك؟

- سعيت في تحقيق بعض الاهداف في خدمة الأدباء والكتاب في تونس و تقريب الشقة وربط الصلة بين الأدباء في كلا البلدين مصر وتونس وذلك في إطار مد جسور و أواصر التواصل والتلاقح وتبادل الزيارات ما بين أدباء مصريين لتونس وأدباء تونسيين لمصر.

وقد وفقت باستقطاب كتاب من مصر للكتابة عن أدبائنا مثل الدكتور سمير سرحان والأستاذ أنيس منصور. وكذا كتابة مقدمات لكتب لمؤلفات تونسية بأقلام أدباء كبار من أمثال توفيق الحكيم والدكتور عبد المنعم خفاجي والدكتور عبد العزيز شرف وحسني سيد لبيب ونجيب محفوظ.

فكان عملي هذا يعد إضافة في مهمتي الثقافية وصدى عن واقع الكتاب والنشر في تونس.

ماذا قيل عنك وماذا كتب النقاد في أعمالك ؟

- ما كتبه النقاد عن أعمالي أحيلك إلى بعض الدراسات منها : كتاب (رشيد الذوادي أديب من تونس) للناقد القصاص حسني سيد لبيب وإلى كتاب (الأدب العربي الجزء الرابع للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وإلى كتاب أصدرته رابطة الأدب الحديث بالقاهرة وصدر في بيروت في التسعينات ضمن دراسات عديدة عني وعن كتبي وإلى كتاب (الأدب العربي ووجه العصر) للدكتور عبد العزيز شرف الصادر عن دار الجيل بيروت عام 1993 وكتاب مع هؤلاء للدكتور محمد عبد العال رئيس رابطة الادب الحديث بالقاهرة الحالي وكتابات أخرى صدرت عنّي في أخبار الأدب وفي مجلتي (وادي النيل والحضارة) المصريتين.

الكتابة ماذا تعني لك وماذا تسعى إليه؟

- الكتابة هي قصة عشق ووعي بالمسؤولية، ولذلك كنت كتبت في كتاب (إشارات أدبية) أنّ عمليّة الكتابة لم تكن توقا في وقت من الأوقات ؛ بل هي حافزة لخلق الوعي والتبصير بالواجبات وبالتوق إلى الأفضل...) وقد تأثرتُ كثيرا برأي الفيلسوف جان بول سارتر لمّا تحدّث عن دور الأديب قائلا: «أينما حل الظلم فنحن الكتّاب مسؤولون عنه ».

إلى جانب اهتماماتك بالقضايا الادبية والفكرية ترى هل يمكن فصل الأدب عن الفكر؟

- لا... وتلك هي نظرية روّج لها أصحاب التخريب فالأدب هو فكر بالأساس وفيه تطلعات وملتصق بالإنسان واللغة تجعل منه لونا من ألوان السمو... والسمو يتجلّى لنا في نتاجات ميخائيل نعيمة وطه حسين وعباس محمود العقّاد والبشير بن سلامة

وفي دعوات: تشيخوف وسارتر والبياتي والشابي وجبران والمنصف الوهايبي وأضرابهم.

وكيف ترى الرحلة مع الكلمة والفكر؟

- أراها في الجودة في الكتابة والجودة في الكتابة هي أن ترى نفسك فيها وترى واقعك الاجتماعي والسياسي والكاتب مطلوب منه أن تكون له قضية يدافع عنها باستماتة .

ومقاصد الكلمة ودلالاتها..ماذا ترى هل فيها هذا التمايز الذي يظهر في صميم ثقافتنا؟

- الكلام كثير في شأن مقاصد الكلمة ودلالاتها وشخصيّا وجدت في القضايا والإشكاليات التي طرحت منذ فترة الستينات أنّ الكلمة صاغت الفكر النقدي وعبرت عن هموم الإنسان العربي وعالجت عديد القضايا المصيرية كقضية فلسطين وقضية الالتزام.

ماذا عن رؤيتك للنقد الأدبي وكيف ترى المشهد النقدي هل هناك حراك نقدي في تونس؟

- اي حراك تعني؟ فهل تجد في الساحة الأدبية حراكا في النقد حول مضامين الشعر والنثر والحكي؟ وإنّ موجة التوجهات لا تعكس ما هو مطلوب فأين النقاد؟ وأين الكتابات المبثوثة حول الإصدارات الجديدة؟ وأين الصراحة والجرأة والحدّة في كل ما يرسم واقع العرب الاجتماعي؟

إنّ النقاد العرب وإلى اليوم لم يمسكوا بالأقلام ليبرزوا سمات ما ينتج في حقل الدراما والمسرح والأدب والقضايا الحارقة وبالإيجاز أقول: نحن في حاجة إلى ثورة في البيئة الأدبية من طرف النقاد لتوضيح مواقف الكتاب وعلاج العيوب علاجا سليما ومجديا.

المتعارف أنّكم مغرم بالترحال فما هو تأثيره في مسيرتك الادبية؟

- الترحال مطلوب بالنسبة للكاتب فهو ينمي مخزونه الفكري ويفتح شاهية للكتابة وعظماء الكتاب في العالم مغرمون بالترحال كـ: جارودي وأنيس منصور وغيرهم.

مشاريعك المنتظرة وماذا في جرابك من مخزون وعطاء أدبي وبحثي؟

- لديّ مشروع قيد الإعداد لكتاب أعكف على نشره قريبا بعنوان: (رجال الحلفاوين) أستهدف منه أن أنصف هذا الحي وللتعريف بأعلامه.

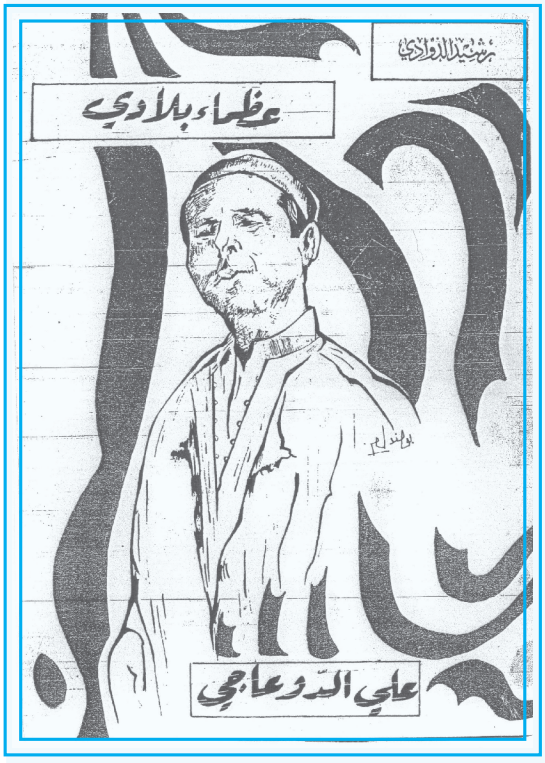

قصيدة من نظم شيخ الإسلام أحمد إبن الخوجة يمدح من خلالها الوزير المصلح خير الدين باشا وإنشائه للمدرسة الصادقية

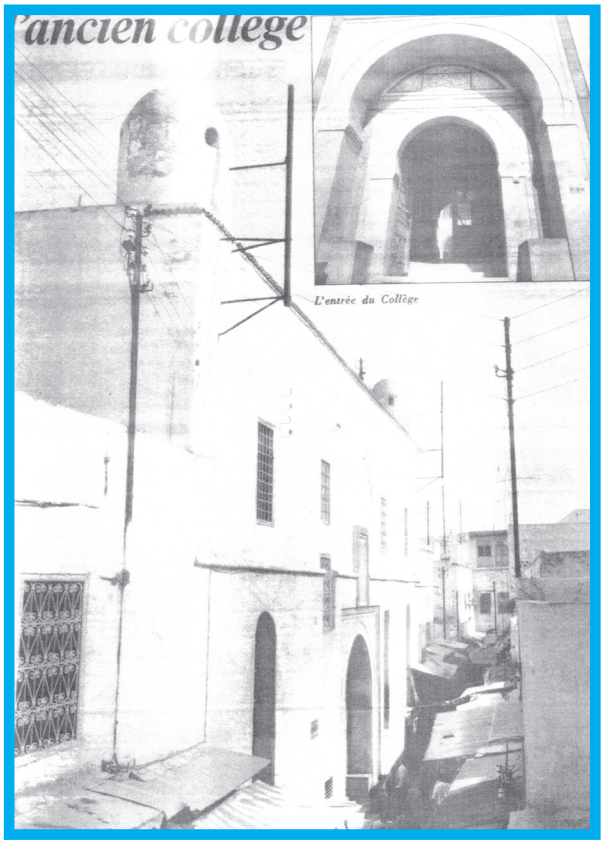

المقر الأول للمدرسة الصادقية 55 نهج جامع الزيتونة

فكم مكتبٍ [1]أنشا لتَسْهيل نشرها

ودونك فانظر كي ترى منه أشْمسا

(1) إشارة إلى المكتب الجديد أي المدرسة الصادقية

معالم للعلم الشريف أقامها

زواهر تجلو للجهالة حِندسا

فمنهنّ تلك الصادقيّة من غدت

وأرجاؤها في العلم أفيد مجلسا

تفجّرُ للعرفان أصفى مشارب

فيُسقاه من يُسقاه أعذب أسلسا

لقد ندِمَتْ آباءُ من قد تأخّروا

غداة رأوا ذا السّعيَ هذّب أنفسا

وأظهر فضل الله فيما حبا به

عقول بني تَرْشيش [2] إذ كان مغمسا

وأبصر أرباب الإيالة شأوَهم

فعادوا قد أثنوا وزادوا تفرّسا [3]

صورة خيرالدين باشا

(2) هو الإسم القديم لمدينة تونس انظر لمؤنس لابن أبي دينار تحقيق محمد شمّام ط. 1967 ص9 معالم التوحيد لمحمد ابن الخوجة ط1985 ص242.

(3) الصادقية الوزير خير الدين مؤسسا ومحمد العربي زروق مديرا: دراسة ووثائق، أحمد الطويلي ط. 2006ص 43.

ومن شعره قصيدة نوّه فيها بمشروع المدرسة الصادقية(1)طالعها:

مآثرك الغراء كالأنجم الزُهر

تجلّتْ بها الخضراء عِقدًا على نحرِ

ومنها:

ولله مبنى الصادقية(2) قد بدت

مطالع شهب العلم وقّادة الفكر

ففي كلّ فنّ حلقة حول جهبذ

كما دارت الزهر النجوم على البدر

تلامذ سر الله جلّ جلاله

لهم في نجاح السعي في الزمن النـزر

تساير في الأسفار ذكر نجاحهم

وصدقت الأخبار مشهدة الخبر(3)

(1-2)- تعرف أيضا بالمكتب الجديد والمدرسة الصادقية نسبة للمشير محمد الصادق باي. تأسست سنة 1875م في قشلة طريق سيدي المرجاني (55 نهج جامع الزيتونة) وهي إحدى الثكنات التي أسسها حمودة باشا الحسيني. وفي سنة 1897م انتقلت المدرسة إلى أرض بيرم في مقرها الحالي بالقصبة وكان القصد من إنشائها هو تعليم العلوم الشرعية واللغات والعلوم الحديثة، انظر فيما يتعلق بتاريخ هذه المدرسة:

(2) الصادقية: الوزير خير الدين مؤسسا ومحمد العربي زروق مديرا للدكتور أحمد الطويلي. طبعة تونس 2006
- صفحات من تاريخ تونس: محمد بن الخوجة، تحقيق حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى. طبعة دار الغرب الإسلامي بيروت 1986، صفحة 309
- ما بلغه التعليم بالبلاد التونسية من نمو وازدهار تأليف محمود بورقيبة المطبعة التونسية 1941 أعيد نشر قسم ما يتعلق بتاريخ المدرسة الصادقية في المجلة الصادقية ع 51 جويلية 2009 ص 4
- المدرسة الصادقية والصادقيون تأليف وتعريب الدكتور أحمد عبد السلام ط. بيت الحكمة 1994.
- Nourddine Sraïb : Le collège Sadiki de Tunis 1875/1956 enseignement et nationalisme Edition Alif.
- Ahmed Abdessalam : Sadiki et les Sadikiens cérès éditions 1975.

(3) لقد استغرقت هذه القصيدة أربعين بيتا نقلنا منها ما ذكره المؤرخ محمد بن الخوجة في مجلة شمس الإسلام ج 3 م1 سنة 1937 وأعيد نشرها في كتاب صفحات من تاريخ تونس ط 1986 ص 316 وعنوان الأريب ج 2 ط 1996

المصلح الشيخ محمد الخضر حسين

(1958 / 1873)

بقلم: محمد العزيز السّاحلي

هو المنعم المبرور العلامة الشيخ محمد الخضر بن حسين بن علي بن عمر الشريف، الفقيه المحقق، اللغوي الأديب الشّاعر، المدرّس، شيخ الجامع الأزهر، وأحد زعماء النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي. ولد في 23 جويلية 1873م/1290هـ بمدينة نفطة من الجنوب التونسي مهد العلماء والفقهاء والأدباء النبغاء المعروفة بالكوفة الصغرى. وعائلة ابن الحسين ماجدة في حسبها ونسبها المتصل بالشريف النبوي الكريم. وإخوة الشيخ الخضر هم محمد الجنيدي ومحمد العروسي والشيخ محمد المكي والشيخ زين العابدين. وهذان الأخيران من أكابر العلماء أثروا المكتبة العربيّة بمؤلفاتهم وتحريراتهم. أمّا خاله الذي ربّاه وعلّمه فهو فضيلة الشيخ محمد المكّي بن عزّوز كان علما من أعلام العلم والأدب والمعرفة الواسعة، تولّى خطة الافتاء بنفطة وانتقل إلى الأستانة ودرّس بها الحديث الشريف ونقل معه من تونس مكتبته التي يصفها المرحوم سماحة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور بأنّها مكتبة من أندر وأعزّ وأنفس المكتبات وأفضلها من الخزائن الخاصة في العالم الإسلامي. في هذه البيئة العلميّة وفي كنف خاله المتوفى سنة 1916 تربّى شيخنا المفضال واكتسب المعارف الجمّة. بعد أن حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ اللغة العربيّة انخرط الفقيد في سلك طلبة جامع الزيتونة المعمور سنة 1307هـ /1887م وأغرم من أوّل عهده في الدراسة بالأدب والشّعر ونجح في السنوات الأولى من التعليم الزيتوني إلى أن تحصّل على شهادة التطويع سنة 1898/1316 وتطوّع للتدريس بالجامع الأعظم إلى أن ارتقى إلى خطّة مدرّس من الطبقة الثانيةإثر نجاحه في مناظرة سنة 1907/1325. وقد درس أستاذنا الجليل على مجموعة من المشائخ الأفذاذ كالشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد النجّار والشيخ عمر بن الشيخ واستفاد من علمهم. عيّن العلامة الشيخ الخضر حسين

أستاذا بالمدرسة الصادقيّة سنة 1907، وواصل عمله هناك مدة ستة أعوام حيث تخرّجت على يديه أفواج عديدة من الطلبة الذين يذكرونه ويشكرون فضله.

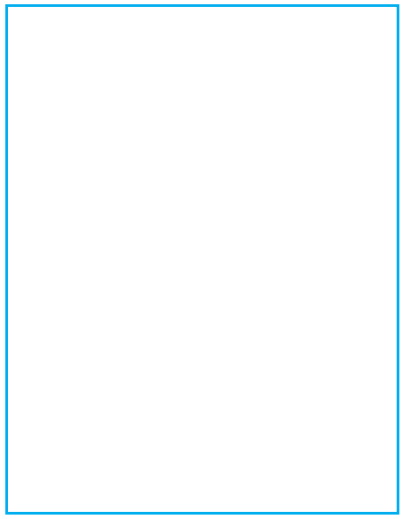

الشيخ محمد الخضر حسين

أمّا علاقته بنادي قدماء الصادقيّة فهي علاقة حميمة متينة، وقد ألقى بناديها ثلاث محاضرات، الأولى بعنوان «الحريّة في الإسلام» ألقاها سنة 1906 تحت إشراف صديقه العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الذي ارتجل كلمة قيّمة عقب انتهاء المحاضرة. وقد طبعت هذه المحاضرة عدّة مرّات وهي معروفة متداولة. أمّا محاضرته الثانية التي ألقاها بنادي قدماء الصادقية سنة 1909 فكانت بعنوان «حياة اللغة العربيّة» وقد طبعت مرّات، ونشر الفقيد الجانب الشعري منها في ديوانه «خواطر الحياة».

كما ألقى محاضرته الثالثة والأخيرة على منبر نادي القدماء قبيل هجرته إلى الشرق سنة 1331هـ/ 1912م تحت عنوان «مدارك الشريعة الإسلاميّة» هذا والجدير بالملاحظة أنّ شيخنا دعي للتدريس بالجمعيّة الخلدونيّة، ثمّ انتُخب عضوا بهيئة هذه الجمعيّة مع جماعة من أكابر علماء الزيتونة المشايخ: محمد رضوان،الطاهر النيفر، الطاهر ابن عاشور، بلحسن النجار، الصادق النيفر.

كما أسّس سنة 1904، أول مجلة صدرت بتونس وهي مجلة «السعادة العظمى» وأيدها علماء الإصلاح أمثال الشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد النخلي والشيخ الطاهر ابن عاشور، وصدر من هذه المجلة واحد وعشرون عددا، ثمّ توقّفت عن الصّدور لأنّ صاحبها الشيخ الخضر تولّى خطّة القضاء الشرعي ببنزرت وذلك سنة 1905 مع الخطابة والتدريس بجامعها الكبير. وبعد سنة واحدة قدّم شيخنا استقالته من منصب القضاء وعاد إلى العاصمة للتدريس بجامع الزيتونة.

هذا وإثر إخفاقه في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى بسبب سياسة المحاباة قرّر الرحيل إلى المشرق وذلك سنة 1915 واستقرّ بدمشق وعيّن أستاذا في المدرسة السلطانيّة حيث مكث إلى سنة 1917، وتحوّل إلى تركيا وألمانيا ثمّ عاد

إلى دمشق. وفي سنة 1921 أصدرت السلطات الاستعماريّة حكم الإعدام غيابيّا على الشيخ الخضر حسين إثر قيامه في ألمانيا بتحريض المغاربة والتونسيين على الثورة ضد المستعمر. وفي سنة 1922 انتقل إلى مصر (القاهرة) وتولّى بجامعها الأزهر الشريف خطّة التدريس بعد أن نال شهادة العالميّة هناك، وأسّس رابطة جاليات إفريقيا الشماليّة، كما أسّس سنة 1928 جمعيّة الهداية الإسلاميّة وتولّى رئاستها وإدارة مجلتها والتحرير فيها. وتولّى أيضا رئاسة تحرير كثير من المجلات الدينيّة التي أصدرها الأزهر مثل مجلّة «نور الإسلام» و مجلة «لواء الإسلام» وممّا تجدر الإشارة إليه – أنّ اللّواء محمد نجيب قرّر سنة 1952 تعيين العلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخا للأزهر فكان أوّل عالم غير مصري يتولّى هذا المنصب منذ قرون عدّة فتحمّل هذه المسؤوليّة بكلّ أمانة واقتدار وزان هذه الخطّة بعلمه وتقواه جزاه الله كلّ خير عن الإسلام والمسلمين. يقول عنه صديقه أستاذنا الجليل القاضي الفاضل محمود شمّام رحمه الله الذي عرفه عن قرب: « هو وديع لطيف خجول متواضع يلتهب نارا في بحوثه وأدبه وشعره وسعيه السياسي، هو رحّالة جاب البلاد الإسلاميّة وبعض البلدان الغربيّة وسخّر مواهبه وقدراته وإمكانيّاته وعلمه في سبيل مبادئه السياسيّة والعلميّة».

لشيخنا المفضال طيّب الله ثراه العديد من المؤلفات وقد أحسن صنعا ابن أخيه صديقنا المحامي الأستاذ علي الرضا حفظه الله عندما طبع أعماله الكاملة في مجلّدات قيّمة يستفيد منها الجميع، توفّي الراحل العزيز في 12 فيفري 1958م/1377هـ (توافق هذه السنة مرور ستين سنة على رحيله) ودفن في تربة آل تيمور بالقاهرة بوصية منه رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنّة مأواه.

* المراجع:

1) «تراجم المؤلفين التونسيين للشيخ محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1982

2) «مشاهير التونسيين»، طبعة ثانية منقحة، 1992 لمحمد بوذينة.

3) «شيوخ الزيتونة في القرن الرابع عشر الهجري» للأستاذ محمود شمّام ومحمد العزيز السّاحلي، الصادرة عن المطبعة العصريّة بتونس سنة 2000.

4) «الموسوعة التونسيّة» (الجزء الأوّل)، الصادرة عن بيت الحكمة بقرطاج سنة 2013.

تقديم كتاب:
الحبيب جاء وحدوه
الشّاعر الاديب الصديلي

جمع وتعليق وتحقيق: الشيخ محمد المختار السلاّمي والأستاذ محمد الحبيب السلاّمي

قدّمه: الدكتور عادل بن يوسف

تمّ في رحاب جمعية قدماء المدرسة الصادقية يوم الخميس 29 مارس 2018 تقديم الإصدار الأخير لكل من سماحة المفتي السابق للجمهورية التونسيّة الشيخ محمد المختار السلاّمي والشيخ محمّد الحبيب السلاّمي بعنوان:

« الحبيب جاء وحده الشاعر الأديب الصيدلي: الموجود من شعره وثناء الكتّاب عليه »، جمع وتقديم وتعليق الشيخ المختار السلاّمي والشيخ محمّد الحبيب السلاّمي، عن دار علاء الدين، صفاقس، الطبعة 1، تونس، ديسمبر 2017، 196 صفحة.

وقد تولى تقديم هذا الإصدار الجديد أستاذ التاريخ المعاصر والزمن الراهن بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بسوسة، الدكتور عادل بن يوسف.

وتعميما للفائدة على قراء المجلّة الصادقية وحرصا منا على التعريف بأحد تلاميذ المدرسة الصادقية في العشرينات و»شاعر الصادقية» (كما يصفه العديد من أبناء جيله و رفاقه في الدراسة من رموز الحركة الوطنيّة لاحقا)، نتولى نشر نصّ تقديم هذا المؤلف كاملا وقد أمدّنا به صاحبه وصديق الجمعية مشكورا، الدكتور عادل بن يوسف.

مقدمة:

خلافا لما يعتقد لم تكن المدرسة الصادقية «منبتا» لرجالات الإدارة والدولة فحسب، بل تخرّجت منها أجيالٌ من رجال الثقافة والفكر والإبداع في شتى المجالات من أدب (قصّة وشعر ونثر...) ومسرح وموسيقى وفنّ تشكيلي وسينما... وأطباء وصيادلة...

ومن بين خرّيجيها هنالك من جمع بين أكثر من اختصاص على غرار الشاعر والصيدلي الوطني الحبيب جاء وحده الذي خصّه كل من سماحة الشيخ محمّد المختار السلاّمي وقريبه الشيخ محمّد الحبيب السلاّمي بهذا المؤلف الذي نقدمه اليوم في رحاب جمعية قدماء المدرسة الصادقية (13 نهج دار الجلد) أمام الحضور الكريم من خريجي هذه المدرسة الوطنية والناشطين بجمعيتها العريقة.

أولا: مؤلِفا الكتاب والمترجم له:

1) الشيخ محمّد المختار السلامي:

هو من مواليد مدينة صفاقس يوم 10 أكتوبر 1925وسط أسرة متعلمة وملتزمة بالقيم الدينيّة والخلقيّة التونسية الأصيلة. درس والده بجامع الزيتونة لكنه اضطرّ إلى الانقطاع عن الدراسة والعمل في التجارة والفلاحة بسبب وفاة والده هو الآخر.

فالتحق الطفل محمّد المختار السلاّمي بالمدرسة الابتدائية القرآنية «التهذيبيّة» بصفاقس التي فتحها أحد وجهاء المدينة سنة 1911 كانت إلى جانب تدريسها للغة العربية والقرآن والدين...، تدرّس اللغة الفرنسية. وبهذه المدرسة تتلمذ على يد أبرز المعلمين بالمدينة وفي مقدمتهم علي الرقيق و محمود غربال...

وإثر نجاحه في الشهادة الابتدائية بملاحظة «حسن» شدّ الرحال نحو العاصمة لمواصلة دراسته الثانوية والعليا بالجامع المعمور حيث تتلمذ على كبار مشايخه من أمثال: الشيخ محمّد العزيز جعيّط والشيخ البشير النيفر والشيخ محمّد الفاضل بن عاشور... وبالجامع الأعظم تحصّل سنة 1945 على شهادة التحصيل بجزئيها وكان الأول بملاحظة «حسن»، ثم الناجح الأول في شهادة العالمية في شعبة أصول الدين بنفس الجامعة.

وفي سنة 1951 انتدب مدرّسا من الطبقة الثالثة بجامع الزيتونة ثمّ مديرا لبعض فروعه ومنها فرع مدينة بنزرت وفيها ارتبطت علاقته بالشّاعر الحبيب جاء وحده. ثمّ عمل متفقدا فمتفقّد أول في التعليم الثانويفي مادّة التربية الدينيّة قبل أن يلتحق بالمعهد العالي لأصول الدين بتونس كأستاذ للدراسات القرآنية والفقه وقواعد التشريع وبه ناقش رسالة دكتوراه بعنوان: « نظرية التقريب والتقليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية ».

ومن سنة 1963 إلى سنة 1965 درس اللغة الانجليزية لمدة سنتين بمعهد بورقيبة للغات بتونس. كما انخرط في الاتحاد العام التونسي للشغل وانتخب في هيئة المكتب المركزي للاتحاد مع المرحوم أحمد التليلي وأعدا معا المؤتمر الثامن المنعقد بتونس سنة 1968.

شغل الشيخ محمّد المختار السلاّمي خطة إمام خطيب بجامع السلام بالبلفدير لمدة 30 سنة كاملة مع طبع كل خطبه الجمعيّة طيلة هذه الفترة في ستّة مجلدات. وشغل منصب مفتي الجمهورية التونسية خلال الحقبتين البورقيبية والنوفمبرية

بين 1984 و 1998. كما ترأس المجلس الإسلامي الأعلى في تونس بين 1989 و 1993.

وبالتوازي مع الإفتاء والمجلس الإسلامي الأهلىّ انتخب الشيخ محمّد المختار السلاّمي عضوا في مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدّة، ورئيسا للهيئة الشرعية العالمية للزكاة.

كما عمل رئيسا للهيئة الشرعية لفرع بنك البركة بتونس و عضوا بهيئة التوافق الشرعية بالبحرين وذلك إلى جانب عضويته الحالية في الهيئة الشرعية لمصرف الزيتونة في تونس.

وعلى مستوى الإنتاج الفكري أصدر الشيخ محمّد المختار السلاّمي حوالي 22 مؤلفا من أبرزها:

التعليم الزيتوني ووسائل إصلاحه.

الأسرة والمجتمع.

الاجتهاد والتجديد.

الهداية الإسلامية.

آفاق البحث في علم المقاصد.

الاجتهاد: النص، الواقع، المصلحة.

البحث في مقاصد الشريعة: نشأته وتطوره ومستقبله.

حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة.

مدخل إلى مقاصد الشريعة.

نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية.

نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي... الخ.

و للشيخ محمّد المختار السلاّمي عشرات المقالات العلمية التي نشرت له بدوريات مختصّة داخل تونس وخارجها.

كما حصل على عديد الجوائز والأوسمة الوطنية والأجنبية وهي تباعا:

- الصنف الأكبر من وسام الجمهورية التونسية.
- الوسام الثقافي للجمهورية التونسية.
- وسام السابع من نوفمبر.
- نوط الامتياز من الطبقة الأولى بمصر.
- جائزة مؤسّسة الكويت للتقدم العلمي والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية سنة.2001

جائزة البنك الإسلامي للتنمية في مجال البنوك والمالية الإسلامية سنة.2007

ومنذ خروجه إلى التقاعد ورغم مرضه وتقدمه في السنّ لم يركن الشيخ محمّد المختار السلاّمي للراحة بل واصل نشاطه الذهني والعلمي بحضور النوادي والمنابر الفكرية والعلمية بكل من تونس العاصمة وصفاقس والتحقيق والتأليف فحقذق كتاب الإمام المازري، دفين مدينة المنستير وكانت آخر أعماله تحقيق ديوان مخطوط لشاعر القيروان الصيدلاني الحبيب جَاءَ وَحْدُه الذي أوكل للشيخ محمّد الحبيب السلاّمي مهمة نشره.

واعترافا بالجميل لمدينة صفاقس التي ولد بها وقضى بها السنوات الأولى من عمره لطلب العلم والمعرفة، تبرّع الشيخ محمّد المختار السلاّمي في أفريل 2016

بمكتبته الخاصة التي تضمّ أكثر من 4851 مجلدا من ضمنها العديد من المخطوطات ونسخ من المخطوطات النادرة و 343 كتابا باللغة الفرنسية ولغات أخرى و520 دورية و125 ملفا ووثيقة تتعلق بأشغال ندوات في مواضيع مختلفة... إلى المكتبة الجهوية بصفاقس حيث وضعت في جناح خاصّ.

وقد قالت عنها أمينة المكتبة العمومية مليكة شعبان: « هي واحدة من أهم المكتبات العائلية في تونس وأكثرها ثراء ولا نظير لها في أيّ مدينة أخرى داخل البلاد ». ومنذ يوم 30 أفريل 2016 أصبحت المكتبة العمومية بصفاقس تسمى «المكتبة العمومية محمّد المختار السلامى» كما أعلن عنه والى صفاقس الحبيب شواط في كلمة ألقاها بمناسبة التدشين بحضور الشيخ محمّد المختار السلاّمي وأفاد عائلته وتلامذته ومثقفي المدينة ورموزها...

ومن جهتنا أنجزنا مع الشيخ حوارا إذاعيا مطولا ببيته بطريق طنيور بصفاقس قمنا ببثّه ببرنامجنا التاريخي الأسبوعي، «شهادات حيّة» بإذاعة المنستير على حلقتين كاملتين (ساعة لكل حلقة) يومي الأحد 17 و 25 أكتوبر 2017.

2) الشيخ محمّد الحبيب السلامي:

بحكم مرضه وتقدّمه في السنّ استعان الشيخ محمّد المختار السلاّمي بأحد أفراد عائلته، الشيخ محمّد الحبيب السلاّمي في تنسيق ومتابعة الكتاب إلى أن رأى النور. و الشيخ محمّد الحبيب السلاّمي من مواليد مدينة صفاقس سنة 1933

بدأ مسيرته معلّما ثمّ أستاذا فمتفقدا بالمعاهد الثانوية فمنتجا للبرامج بإذاعة صفاقس والتلفزة الوطنية ومحرّرا بمجلة «شمس الجنوب» أو في جريدة «الصريح»... وناشطا في الجمعيات الخيرية على غرار: «جمعية القاصرين عن الحركة العضوية» وأخيرا خطيبا في المساجد من خلال الدروس التي كان يلقيها بها خلال شهر رمضان المعظّم ...

وتشجيعا للثقافة والمثقفين وتقديرها للمبدعين والناشطين في مختلف الميادين الأدبية والفكرية والدينية و العلمية والإعلامية...، نظمت هيئة مهرجان مدينة صفاقس ومنتدى صفاقس للفنون والثقافات مساء 13 جوان 2017 بقاعة الاجتماعات بالمركب الثقافي محمّد الجموسي سهرة أطلقت عليها اسم: «سهرة ومسيرة» تكريما للشيخ محمّد الحبيب السلاّمي إثر صدور كتابه الذي يحمل عنوان: «علماء ضاعوا في الولاية».

وفي ليلة 14 جوان 2017 تمّ تكريمه في سهرة لم تشهد الموسيقى والغناء، بل شهدت تناغم الأصوات المفعمة بالمحبة والصدق والتقدير والتبجيل للمحتفى به الذي يحظى بحب وتقدير كبيرين لدى تلاميذه الذين تربوا على يديه في أول حياته المهنية. إضافة إلى كتاباته وتاريخه الحافل بالإنتاج الفكري، يمتلك الأستاذ الجليل محمّد الحبيب السلاّمي مكتبة كبيرة تعتبر كنزا فنيا تولى تجميعه منذ بدايات شبابه تبرّع إلى جامعة الزيتونة لتوضع بين أيدي أساتذة وطلاب المعهد الأعلى للدراسات الإسلامية بالقيروان ليستفيدوا منها وقد تمّ نقلها عبر الشاحنات إلى عاصمة الأغالبة. وعن ذلك علّق أحد الصحفيّين أصيلي مدينة صفاقس قائلا: « (...) بذلك خسرت صفاقس مرّة أخرى مكتبة قلما تتوفر الفرص لحيازتها ولكن قد يكون الحل الأمثل وتذهب لأشخاص يقدّرون

قيمتها الحقيقية(...) «[1].

وللشيخ محمّد الحبيب السلاّمي عديد الكتب والمقالات الصادرة بالصحف التونسية والأجنبية وفي مقدمتها جريدة «الصريح» بين 2011 و 2016 في عديد الأغراض والمواضيع في الفكر والثقافة والسياسة والانتقال الديمقراطي ومن آخر الكتب التي أصدرها مؤخّرا (2018) كتاب قيّم بعنوان: "أوراق زيتوني من شجرة الزيتونة"

وإذا كان هذا كل ما يتصل بمؤلف الكتاب ومحقّقه فماذا عن مسيرة المترجم له في الكتاب، الصادقي والشاعر الوطني الصيدلي الحبيب جاء وحده؟

3) مسيرة المترجم له: الشاعر الوطني والصيدلي الحبيب جاء وحده:

قبل صدور هذا المؤلف كتب البعض عن حياة الشاعر الوطني والأديب الغيور، الصيدلي الحبيب جاء وحده كنت من أولهم(2)، تلته بعض البيوغرافيات المقتضبة المنشورة في بعض الصحف اليومية والأسبوعية إثر صدور هذا الكتاب مباشرة(3).

هو الحبيب بن علي جاء وحده ولد بمدينة القيروان يوم 28 مارس 1901. تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة القرآنية بالمكان وكان يديرها ويدرّس بها خطيب القيروان المرحوم الشيخ محمّد شويشة.

وقد أجمع الكتاب والأدباء على الإشادة بهذا الشاعر المتميّز وبشعره، كما ورد في مقدمة الأثر الذي نقدّم لفضيلة الشيخ المختار السلاّمي بقوله: « (...) في هذه المدينة (أي القيروان) التي يحدثك فيها مسجدها الجامع جامع عقبة ومساجد الأحياء، وكل طريق وبيت، نشأ الحبيب جاء وحده، وكان خاله مفتي القيروان الشيخ محمّد الجودي، حفظ القرآن الكريم في صباه وألفته روحه، وانطبع به عقله ومشاعره، واستقام منطقه على فصيح العربية، وأسعفه عطاء القرآن النمير فرصع به شعره، وكانت اقتباساته منه تمكن لأصالته، وتسند بيانه وفكره بتلكم القوة الغيبية التي صاحبته (...) «(4).

وقد قال عنه الأديب رشيد الذوادي في كتابه «بنزرت تحكي»: « (...) يُعدّ الحبيب جاء وحده من أعلام الأدب والفكر في تونس وأحد الذين أيقظوا الشعور الوطني واحيوا لغة الضاد ببدائع القول وعميق التفكير وروعة البيان»[5]. أمّا تلميذه المخلص المرحوم الأديب والإعلامي الكبير الأستاذ الهادي العبيدي فيقول: « (...) وكان الفقيد الحبيب لا يقتصر على إعطاء دروسه في اللغة الفرنسية وينصرف، بل كان يجمعنا في فترات متقطعة ليعلمنا الأناشيد الوطنية من شعر الرصافي وغيره فيعلمنا لفظا ولحنا، وينفعل معها عند التعليم فيظهر عليه الحماس فقد أحببناه لهذه الصفات (...).

وفي سنة 1915 نجح في مناظرة الدخول إلى المدرسة الصادقية، فتحول إلى تونس العاصمة ليواصل

(1) نقلا عن مقال بجريدة الصباح بتاريخ 15 جويلية 2017 بإمضاء حافظ.

(2) عادل بن يوسف، «من مشاهير الصادقيّين: الصيدلي الشاعر الحبيب جاوحده (1901-1967)»، المجلّة الصادقية، عدد 18، أفريل 2000، ص 32-27.

(3) نذكر في مقدمتها: بدون إمضاء، «الحبيب جاء حده الشاعر الأديب الصيدلي»، جريدة الصباح، الأحد 24 ديسمبر 2017.

(4) الحبيب جاء وحده الشاعر الأديب الصيدلي: الموجود من شعره وثناء الكتّاب عليه، جمع وتقديم وتعليق الشيخ محمّد المختار السلاّمي والشيخ الحبيب السلامي، دار علاء الدين صفاقس، الطبعة 1، تونس 2017، ص 5.

(5) رشيد الذوادي، بنزرت تحكي، دار تونس للنشر، تونس 2007، ص 15.

دراسته الثانوية بهذه المدرسة العريقة حيث تعرّف على عدد كبير من الشبان الذين أصبحوا أصدقاءه في ما بعد نخص بالذكر منهم: الطاهر صفر وعثمان الكعّاك والحبيب بورقيبة ومحمّد العقربي وعبد العزيز العروي وسليمان بن سليمان...

وأثناء دراسته بالصادقية استمرّ الحبيب جاء وحده في الاهتمام بالشعر ونظم القصائد في شتى الأغراض ومختلف المناسبات. فبمناسبة إطلاق سراح الشيخ عبد العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الحرّ الدستوري التونسي يوم غرة ماي 1921 توجه وفد من تلامذة المدرسة الصادقية الى دار كاهية بنهج الباشا حيث كان يقيم الزعيم الثعالبي للترحيب به والسلام عليه، وانشدوا عندما مثلوا بين يديه قصيدا من نظم زميلهم جاء وحده رئيس الوفد الصادقي الذي كان يضمّ بالخصوص الحبيب بورقيبة والطاهر صفر وسليمان بن سليمان والصادق بوصفّارة والمختار المملوك والعربي مامي... الخ.

وبعد أن نال الفقيد ديبلوم الصادقية في جوان 1921 التحق لفترة قصيرة بسلك التعليم، إذ عيّن معلما بالمدرسة القرآنية العرفانية التابعة للجمعية الخيرية الإسلامية بتونس العاصمة، ولم يقتصر على إلقاء دروسه باللغة الفرنسية، بل كان يضمّ إليه جمعا من التلاميذ خارج أوقات الدراسة ليعلمهم بعض الأناشيد الوطنية من نظم الشاعر الرصافي لفظا ولحنا فيظهر عليه الحماس، لذلك أحبه تلاميذه.

سافر الحبيب جاء وحده إلى فرنسا لمواصلة دراسته العليا، وبعد حصوله على شهادة الباكالوريا بجزأيها تحول إلى باريس لدراسة الصيدلة والحقوق إلى غاية سنة 1930.

ومنذ وصوله إلى العاصمة الفرنسية انخرط الفقيد في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي أنشئت منذ سنة 1927 لتوثيق أواصر التوادد والتعاون بين طلبة المغرب العربي. وفي السنة الجامعية 1929ـ1930 انتخب عضوا في هيئتها المديرة بصفة مستشار وذلك صحبة الشاذلي بن رمضان، وقد قام بنشاط ملحوظ صلب هذه الجمعية التي استفادت منه كثيرا.

وبعد أن أتم دراسته للصيدلية تزوج المترجم له نن فرنسية واستقر بمدينة كركاسون «Carcas-sone» في جنوب شرقي فرنسا إلى غاية سنة1941. وكان طوال فترة إقامته بفرنسا على صلة بالوطن الذي كانت صورته تلازمه في كل لحظة لاسيما في المناسبات الدينية، ففي احد الأعياد تذكر بلاده تونس الرازحة تحت نير الاستعمار، في عهد المقيم للعام الطاغية «مارسال بيروطون» Marcel Pey-routhon ـ 1936) (1933 فنظم قصيدة جاء في مطلعها:

أتى العيد كالأعياد محتفلا به ***
ولا عيد لي ما دام شعبي مرهقَا
فعيدي إن تغدو بلادي حرّة ***
وعيدي يوم أن أرى الشعبَ مطلقَا

كما لم يقطع المترجم له صلته بالحزب الحر الدستوري التونسي، إذ كان يرى أنّ وجوده في باريس ملائم لاستئناف نشاطه الذي بدأه مع هذا الحزب منذ سنة 1921، فبالاشتراك مع زملائه الطلبة من قدماء تلامذة المدرسة الصادقية ومعهد كارنو، وبالتعاون مع المناضل الزيتوني عبد الرحمان اليعلاوي، ساهم الحبيب جاء وحده في بعث نواة لشعبة تابعة للحزب الدستوري بباريس.

وبعد غياب دام أكثر من 16 سنة عاد الفقيد إلى أرض الوطن سنة 1941 صحبة زوجته الفرنسية وابنه فريد، فانتصب صيدليا في ماطر ثم في بنزرت حيث كانت صيدليته ملتقى أهل الفكر والأدب والعلم. كما جاء في كتابات أبناء بنزرت أنفسهم وفي مقدمتهم الأستاذ رشيد الذوادي[6].

والجدير بالملاحظة أنّ الشاعر الحبيب جاء وحده له أشعار في شتى الأغراض فقد ألف في حب الوطن وفي التعلق بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف وأركانه وفي الرثاء وفي المدح وفي الغزل يقول رحمه الله في قصيدة «سميري كتاب الله»[7]:

إذا متّ صحبي قبل إن تنثروا الثرى ***

عليّ ضعوا لي في ضريحي مصحفا

لعلي إذا غمت على الفكر آية ***

تراجعها روحي فاسعد موقفا

وأقبل يوم الحشر وحدي بمصحفي ***

على خالقي حتى يمن ويعطفا

ويقول في نشيد عن حبّ الوطن[8]:

يا بني تونس فخر الأمم ***

للعُلى هبوا ورفع العلم

واكتبوا النصر بمحمّر الدم ***

نحن أشبال الوغى من قدم

نصف إن مال العدى للسلم ***

نبذل الروح فداء للوطن

وعلى إثر الانتخابات الرئاسية الثانية منذ إعلان النظام الجمهوري بتونس والتي جرت في 8 نوفمبر 1964 بعث يبرقية تهنئة إلى رفيق الدراسة بالمدرسة الصادقية جاء فيها[9]:

أهني شعبنا بنجاح شهم ***

به الإعمال والفكر المصيبة

ومن في تونس يرضى رئيسا ***

لجمهورية كأبي رقيبة

وله ايضا قصيد بعنوان: «صوموا تصحّوا» يقول فيه:

رمضان أذهب علتي وتوعكي ***

فازداد جسمي قوة ونشاطا

وكذلك الإسلام في أركانه ***

باسم العبادة مخجل بقراطا

وفي يوم 7 فيفري 1967 لبى المترجم له دعاء ربه اثر نوبة قلبية مفاجئة، ودفن بالزلاج، وأقيم له تأبين بالقيروان رثاه فيه صديقه الشاعر الموهوب الشاذلي عطاء الله بقصيدة مؤثرة مما جاء فيها:

«بوفاته فقدت القيروان نجما من ألمع نجومها، وفقدت الأسرة الصادقية وتونس عامة مفكرا أصيلا ومناضلا وطنيا، لم يدخر اي جهد طوال حياته للنضال بالقول والعمل من اجل استقلال بلاده وعزتها ومناعتها، رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مأواه ونحن نحيي الذكرى الخمسين لوفاته».

وقد قال عنه الأستاذ رشيد الذوادي: « جمعت هذه الشخصية الكثير من المتنافضات فهو رجل القلق والاضطراب وهو رجل المرح والصمت والعزلة وهو الشاعر الحساس الذي ترقّ نفسه للنفس الحزينة التي جفت فيها الأماني، وهو القلب الصبور الذي تنازعته العواطف المتناقضة،

(6) رشيد الذوادي، بنزرت تحكي...، ص ص 24-13.

(7) الحبيب جاء وحده الشاعر الأديب الصيدلي: الموجود من شعره وثناء الكتّاب عليه...، ص 124.

(8) المرجع السابق، ص 131.

(9) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

وهو رجل الثقافة المتأصل والصيدلاني الفطن المعتز بتراث العرب العلمي الذي أوصى قبل موته: «إذا مت ضعوا في ضريحي مصحفا...».

وبما أنّ ابنته لم تكمل دراستها للصيدلة فقد أذن الرئيس الحبيب بورقيبة أن تبقى صيدلية رفيقه في الدراسة تشتغل إلى حين تخرجها. لكن لعدة أسباب لم يتسنّ لابنته إتمام دراستها وممارسة مهنة والدها بصيدليته بمدينة الجلاء.

وبعد هذه الترجمة الموجزة لحياة شاعرنا الأديب والصيدلي الوطني الحبيب جاء وحده نعود للحديث عن محتوى هذا الكتاب.

ثانيا: أقسام الكتاب، لغته وأسلوبه:

أقسام الكتاب:

ينقسم الكتاب إلى قسمين أساسيَيْن:

أ) القسم الأول:

تضمّن ثناء الأدباء والكتّاب على شعر الحبيب جاء وحده في مقالات نشروها في الصحف أو في بعض مؤلفاتهم وفاء لروحه واعترافا له بالجميل وفي مقدمتهم: سماحة الشيخ سيدي محمّد المختار السلاّمي والقاضي الفاضل الاستاذ محمود شمام والأديب الأستاذ رشيد الذوادي والإعلامي الكبير وعميد الصحفيين الأستاذ الهادي العبيدي والأديب محمّد الحليوي ومقالي بعنوان الشاعر الصادقي الحبيب جاوحده (1901-1967) الصادر بالمجلة الصادقية عد 18 لشهر أفريل 2000، والوارد في الكتاب (ص ص 69- 81)، علاوة على الحديث المفيد الذي أجراه السيد عبد الرؤوف الخنيسي مع أديبنا وهو على قيد الحياة بعنوان: «مع الشاعر الظريف الأستاذ الحبيب جاء وحده» ونشر في جريدة الصباح الغرّاء في 10 أكتوبر 1966. يضاف إلى ذلك مقالٌ بقلم الشيخ محمّد المختار السلاّمي بعنوان: «الذكرى السنوية الثانية لوفاة الحبيب جاء وحده».

ب) القسم الثاني:

جاء بعنوان: «الموجود من شعر الحبيب جاء وحده» (من الصفحة 103 إلى الصفحة 190 من الكتاب) يليه فهرس بين 191 و 196 لأهمّ إصدارات مكتبة علاء الدين.

ويحتوى هذا القسم على نماذج من شعر شاعر القيروان احتفظ بها صديقه الوفيّ، سماحة الشيخ محمّد المختار السلاّمي وقرّر أن ينشرها حتى يطلع عليها الدارسون للشعر والأدب.

وهي قصائد في شتى الأغراض: في الوطن وفي السياسة وفي المرأة وفي بعض الأحداث الوطنية (ساقية سيدي يوسف – الانتخابات البلدية) وفي بعض الأصدقاء من رجال السياسة: الحبيب بورقيبة – سليمان بن سليمان - الباهي الأدغم – الصادق بوصفّارة... وفي الشأن اليومي للموطن التونسي (ص ص -103 190).

وفيما يلي البعض من عناوين القصائد التي بلغ عددها 116 قصيدا، منها ما هو كامل ومنها ما هي منقوصة.

قضية أدبية لها قصتها في مزدوجة سباعية.

الفلاّح والطيور.

الذبابة والثور.

منامة الغفران أو الجنة الزائلة.

لماذا... تشبهني.

2) لغة الكتاب:

كتب المؤلف بلغة عربية متينة وغير متحجّرة جمعت بين التكوين الزيتوني الأصيل لصاحبيها وانفتاحهما على التكوين المدرسي على غرار المدرسة الصادقية وهو ما يجعل الكتاب يقرأ بيسر ودون عناء من قبل جميع القراء من المهتمين بالشأن الثقافي و بشغف لا نجد مثيلا له في بقية مؤلفات الشيخين الدينية والفقهية والتربوية...

3) أسلوب الكتاب:

كُتب المؤلّف بالأسلوب المعهود للشيخين محمّد المختار ومحمّد الحبيب السلاّمي الذي ألفناه في سائر كتاباتهما وهو الوضوح والإثراء والتشويق مع الحرص على إدراج الإحالات الموجودة أسفل النصوص الشعرية للشرح والتفسير والتوضيح والتعليق والتعريف ببعض الأعلام المذكورة في متن الكتاب بأسفله... وهي طريقة تحثّ الباحثين على الرجوع إلى الاطلاع على المعلومة الشافية والضافية من مصدرها الأصلي.

ولم يخل الكتاب من بعض الأخطاء الناتجة عن الرقن والإخراج وعدم الانتباه (كالتصاق بعض الحروف ببعضها البعض)... وقد تمّ تفاديها في طبعة ثانية صدرت بحرص من المؤلَّفَيْنِ في مطلع شهر مارس 2018.

خاتمة :

عموما بذل الشيخان جهودا توثيقية هامة تذكر فتشكر للحفاظ على ما خلفه المترجم له الشاعر والصيدلي الوطني الحبيب جاء وحده من آثار شعرية في شتى الأغراض تمّ تقديمها بأسلوب جيّد ومشوّق مع إثراءها ووضعها في إطارها التاريخي.

تلك هي نبذة وجيزة عن هذا الكتاب القيّم الذي سيفيد أهل الفكر والثقافة تاركين للقارئ الكريم متعة الاطلاع عليه عن قرب ومجدّدين ابتهاجنا وتهنئتنا للأستاذين الجليلين اللذين قاما بتأليف هذا الأثر وهما سماحة الشيخ محمّد المختار السلاّمي وفضيلة الشيخ محمّد الحبيب السلاّمي متمنّين لهما موفور الصحة والعافية وطول العمر حتى يواصلا عطاءهما العلمي وإنتاجهما الفكري المفيد، داعين الله العلي القدير أن يجازيهما عما قدماه من علم بثاه في صدور الرجال أحسن الجزاء.

أملنا أن يجد المؤلف صدى طيبا في صفوف قرّائه من شتى الأوساط والاهتمامات وأن يثري المكتبة التونسية التي تفتقر لمثل هذه التراجم والسير الذاتية للكثير من الرموز الوطنية المغيّبة في تونس زمن الحماية ومطلع الاستقلال.

المكرمون من قدماء تلامذة المدرسة الصادقيّة

يوم الخميس 12 جويلية 2018

محمد الحبيب هيلة

محمود ببّو

سيف الله الأصرم

حمزة صدّام

عماد الدرويش

كمال صفر

المكرمون من نجباء تلامذة المدرسة الصّادقيّة

يوم الخميس 12 جويلية 2018

ع/ر	الاسم واللقب	القسم	المعدّل
1	تسنيم العياري	السابعة أساسي	18.48
2	آية بن قياس	السابعة أساسي	18.20
3	أميمة بوطيبة	الثامنة أساسي	17.52
4	آمن السليمي	الثامنة أساسي	17.14
5	آية بوحميدة	التاسعة أساسي	18.09
6	خديجة الماجري	التاسعة أساسي	17.96
7	هبة جوادي	الأولى ثانوي	17.64
8	سرين الوسلاتي	الأولى ثانوي	17.12
9	شاذلية بن العبيدي	الثانية آداب	14.19
10	يوسف الاحمر	الثانية آداب	13.76
11	ابتهال الرغاس	الثانية اقتصاد	14.82
12	اسكندر بوعفيف	الثانية اقتصاد	14.52
13	أميمة الماجري	الثانية علوم	17.79
14	أنس حمدان	الثانية علوم	17.63
15	سارة القربي	الثالثة اقتصاد	16.62
16	رامي االشابي	الثالثة اقتصاد	16.38
17	الشاذلي المزليني	الثالثة علوم	17.58
18	ياسمين الجليزي	الثالثة علوم	17.11
19	محمد علي بن عمارة	الثالثة رياضيات	17.37
20	دينا بن تخيّاط	الثالثة رياضيات	16.71

ع/ر	الاسم واللقب	القسم	معدّل الباكالوريا
21	صفوان النصيري	باكالوريا رياضيات	17.15
22	أماني الحواشي	باكالوريا رياضيات	16.96
23	فرات عزوز	باكالوريا علوم	18.10
24	مرام الماجري	باكالوريا علوم	17.10
25	أحلام التليلي	باكالوريا اقتصاد	13.32
26	سوار الدبابي	باكالوريا اقتصاد	13.29

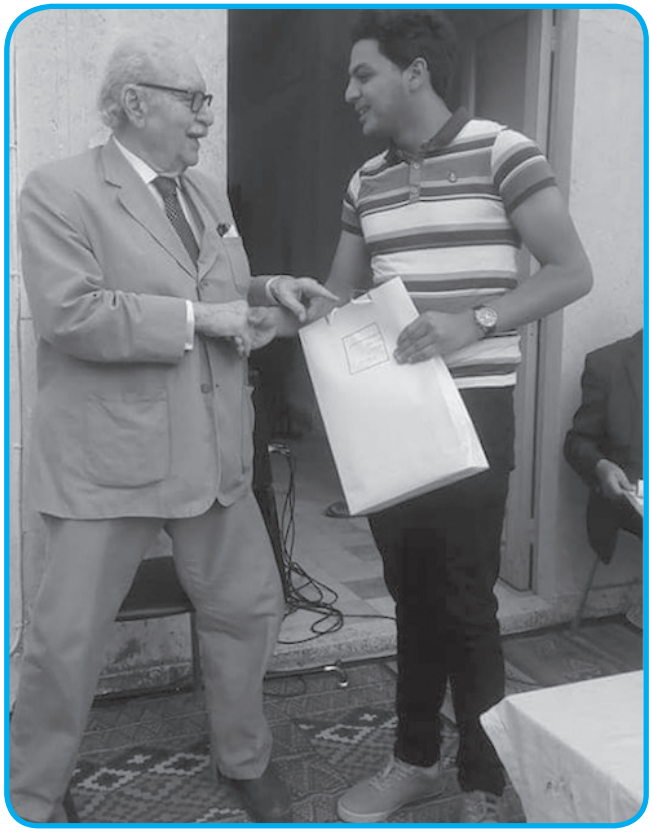

الأستاذ فؤاد المبزع
رئيس جمعية قدماء الصادقية أثناء توزيع الجوائز

النشاط الثقافي لجمعية قدماء المدرسة الصادقية
لسنة 2018

النّشـاط اليـومي

- قاعة للمراجعة : مفتوحة من يوم الاثنين إلى الجمعة.
- المكتبة : تأسّست سنة 1908 : - مفتوحة لفائدة التّلاميذ والطّلبة والباحثين.

الجمعة 26 جانفي 2018 : تقديم كتاب «الشمال الغربي التونسي» تأليف الأستاذ أحمد الحمروني.
تولى تقديمه الباحث محمد خير الدين العنابي بالتعاون مع الجمعية التونسية معالم مواقع ومكتبة مدينة تونس بمقر نادي الجمعية.

الجمعة 09 فيفري 2018 : محاضرة ألقاها الدكتور علي منجور بعنوان:صراع الحضارات : مؤتمر «كامبل بانَرْمَان» نموذجا بمقر نادي الجمعية.

الجمعة 23 فيفري 2018

تقديم محاضرة بعنوان : « إضاءات خلدونية في أدب المسعدي نموذجا «من أيّام عمران» ألقاها الاستاذ شرف الدين بوغديري بمقر نادي الجمعية.

الخميس 29 مارس 2018

تقديم ديوان شعر الأديب الصادقي الحبيب جاء وحد و تحقيق سماحة الشيخ محمد المختار السلامي مفتي الجمهورية سابقا تولى تقديمه المؤرخ عادل بن يوسف بمقر نادي الجمعية.

الخميس 19 أفريل 2018 :

تقديم كتاب : رحلة المصحف الشريف إلى إفريقية (من المخطوط إلى المطبوع)
تأليف الأستاذ محمد الصادق عبد اللطيف تولى تقديمه الأستاذ محمد بلحاج عمر بالاشتراك مع جمعية قدماء وأحباء جامع الزيتونة بمقر نادي الجمعية.

الجمعة 27 أفريل 2018

أمسـية أدبيّة

قدمها: الأستاذ سوف عبيد بالتعاون مع جمعية ابن عرفة بمقر نادي الجمعية.

الجمعة 01 جوان 2018 :

تقديم كتاب : «وجـادلهـم» يتمحور هذا الكتاب حول قضايا فقهيّة معاصرة تثير الجدل تأليف الأستاذ عبد الرزّاق بالسرور تولّى تقدمه: الدكتور علي العلوي بالاشتراك مع الجمعية التونسية معالم ومواقع ومكتبة مدينة تونس وجمعية قدماء وأحباء جامع الزيتونة بمقر نادي الجمعية.

الجمعة 29 جوان 2018

إحياء ذكرى أربعينيّة:الأستاذ البشير العريبي (المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقيّة) بالتعاون مع دار الكتب الوطنيّة بتونس والكشافة التونسية بمقر بدار الكتب الوطنيّة شارع 09 أفريل تونس

الخميس 12 جويلية 2018 : حفل توزيع الجوائز على أنجب نجباء تلامذة المدرسة الصادقية وتكريم ثلة من القدماء

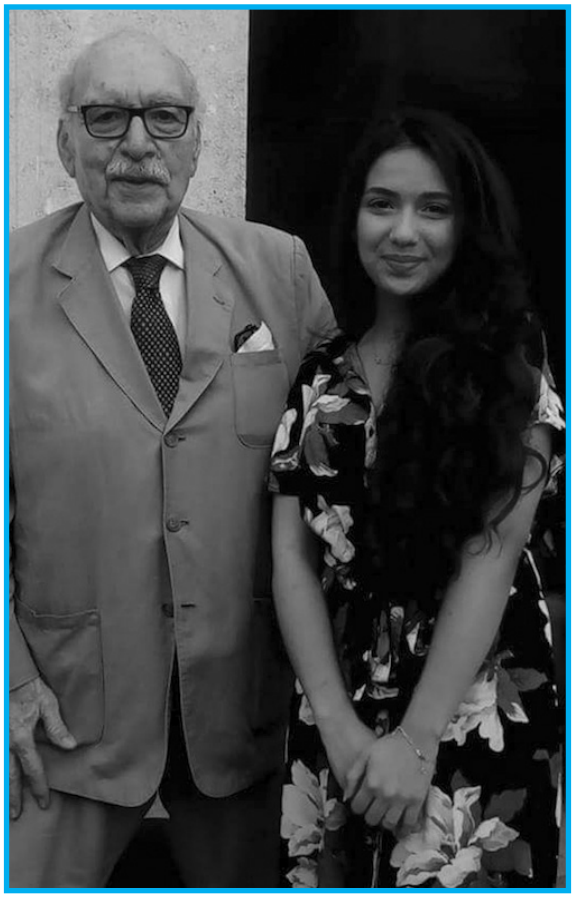

الجمعة 02 نوفمبر 2018 :

محاضرة بعنوان : العلاّمة حسن حسني عبد الوهاب،رائد إحياء التّراث التونسي ألقاها : الباحث محمد خير الدين العنّابي بمقّر الجمعيّة الخلدونيّة (سوق العطّارين تونس المدينة)

الجمعة 07 ديسمبر 2018 :

إحياء ذكرى أربعينيّة المربّي الفاضل عزّالدين القلعي بالتعاون مع نادي دار المربّي بتونس بمقرّ نادي دار المربّي 38 شارع البشير صفر باب العسل تونس

الخميس 20 ديسمبر 2018 : محاضرة بعنوان : لغتنا اليوم ألقاها الأستاذ أحمد الحمروني بقرّ نادي الجمعية.

صدر أخيراً

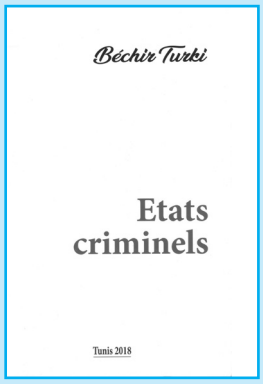
Béchir Turki
Etats criminels
Tunis 2018

د. عبد الرزاق بسرور
وجادلهم
كشف الشبهات والمغالطات المستجدة ومناقشتها في ضوء العقل والنقل
مع ملحق :
مسائل تربويّة :
رصيد الفطرة في تربية الإنسان
أدوار البيئات الثلاث في تنمية صحة المراهقين

الحبيب جاء وحده
الشاعر الأديب الصيدلي
الموجود من شعره وثناء الكتّاب عليه
جمع وتقديم وتعليق:
الشّيخ محمّد المختار السّلاّمي
والشّيخ محمّد الحبيب السّلاّمي

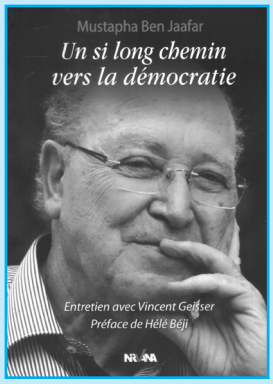
Mustapha Ben Jaafar
Un si long chemin vers la démocratie
Entretien avec Vincent Geisser
Préface de Hélé Béji
NIRAA

الأستاذ الدكتور
الشيباني بن بلغيث
التعليم والأوقاف
في المدارس التونسية
خلال التاريخ الحديث والمعاصر
الجزء الأول
من الحرية الحنفية 1453
إلى الحرية الحالية 1874

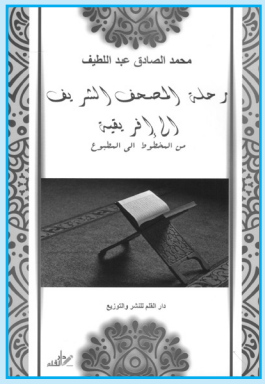
محمد الصادق عبد اللطيف
رحلة المصحف الشريف
الأثر يقبع:
من المخطوط الى المطبوع
دار العلم للنشر والتوزيع

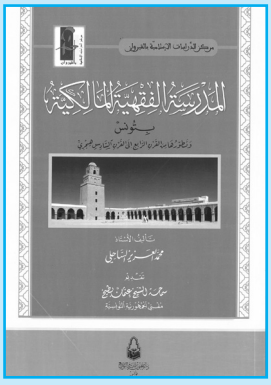
المدرسة الفقهية المالكية
بتونس

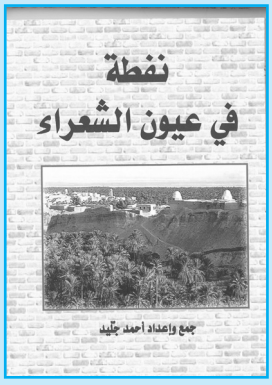
نفطة
في عيون الشعراء
جمع وإعداد أحمد جلّيد